ملامح الوسطية في الحديث النبوي

(دراسة موضوعية)

د . ابتهاج الطيب النيل الطيب

الأستاذ المساعد بكلية الآداب قسم الحديث وعلومه

جامعة الإمام عبد الرحمن بن فيصل

مقدمة:

الحمد لله حمداً كثيراً طبياً مباركاً فيه والصلوات الطيباتِ علي عبده ورسوله سيدنا محمد بن عبد الله خاتم الأنبياء والمرسلين عليهم الصلاة والسلام وعلي آله وصحبه والداعين إلي دينه ومنهجه إلي يوم الدين. وبعد:

يقول الله تعالى:﴿ كُنتُمْ خَيْرَ أُمَّةٍ أُخْرِجَتْ لِلنَّاسِ ﴾ [1] ويقول تعالى:﴿ وَكَذَٰلِكَ جَعَلْنَٰكُمْ أُمَّةً وَسَطًا لِّتَكُونُوا۟ شُهَدَآءَ عَلَى ٱلنَّاسِ وَيَكُونَ ٱلرَّسُولُ عَلَيْكُمْ شَهِيدًا ﴾.[2] تقرر هاتان الآيتان وغيرهما الوصف الحقيقي لأُمّتنا بأنّها الأُمة الوسط ولهذا وغيره صارت الأُمة الخيرة في الحياة الدنيا، وكذا في الآخرة – بإذن الله تعالى – لذلك كانت لهم القيوميّة بالشهادة على الناس يوم القيامة.

وبعد أنْ ميّز الله تعالى هذه الأمة عن باقي الأمم بميزة (الوسطية) خصها بأكمل الشرائع وأقوم المناهج وأوضح المذاهب، فجاء الإسلام يتضمن فلسفةً واضحةً لحياة المجتمع الإسلامي بكل جوانبها الاقتصادية والسياسية والاجتماعية، وذلك بعد الجانب العقدي ، والوسطية تتمثّل في كُل شيء ففي العبادات، يروي حُمَيْدُ بْنُ أَبِي حُمَيْدٍ الطَّوِيلُ، أَنَّهُ سَمِعَ أَنَسَ بْنَ مَالِكٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، يَقُولُ: جَاءَ ثَلاَثَةُ رَهْطٍ إِلَى بُيُوتِ أَزْوَاجِ النَّبِيِّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، يَسْأَلُونَ عَنْ عِبَادَةِ النَّبِيِّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، فَلَمَّا أُخْبِرُوا كَأَنَّهُمْ تَقَالُّوهَا، فَقَالُوا: وَأَيْنَ نَحْنُ مِنَ النَّبِيِّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ؟ قَدْ غُفِرَ لَهُ مَا تَقَدَّمَ مِنْ ذَنْبِهِ وَمَا تَأَخَّرَ، قَالَ أَحَدُهُمْ: أَمَّا أَنَا فَإِنِّي أُصَلِّي اللَّيْلَ أَبَداً، وَقَالَ آخَرُ: أَنَا أَصُومُ الدَّهْرَ وَلاَ أُفْطِرُ، وَقَالَ آخَرُ: أَنَا أَعْتَزِلُ النِّسَاءَ فَلاَ أَتَزَوَّجُ أَبَدًا، فَجَاءَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ إِلَيْهِمْ، فَقَالَ: «أَنْتُمُ الَّذِينَ قُلْتُمْ كَذَا وَكَذَا، أَمَا وَاللَّهِ إِنِّي لَأَخْشَاكُمْ لِلَّهِ وَأَتْقَاكُمْ لَهُ، لَكِنِّي أَصُومُ وَأُفْطِرُ، وَأُصَلِّي وَأَرْقُدُ، وَأَتَزَوَّجُ النِّسَاءَ، فَمَنْ رَغِبَ عَنْ سُنَّتِي

(1) آل عمران:110.

(2) سورة البقرة: 143.

فَلَيْسَ مِنِّي».[1] وفي المعاملات إباحة البيع وتحرم الربا ونجد الانضباط الشرعي في معاملة الكفار كما قال تعالي: ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ كُونُواْ قَوَّٰمِينَ لِلَّهِ شُهَدَآءَ بِٱلْقِسْطِۖ وَلَا يَجْرِمَنَّكُمْ شَنَـَٔانُ قَوْمٍ عَلَىٰٓ أَلَّا تَعْدِلُواْۚ ٱعْدِلُواْ هُوَ أَقْرَبُ لِلتَّقْوَىٰۖ وَٱتَّقُواْ ٱللَّهَۚ إِنَّ ٱللَّهَ خَبِيرُۢ بِمَا تَعْمَلُونَ ﴾ [2].ومن إكرام الله للإنسان وضع له منهجاً وسطاً يوضح معالم الحياة الطيبة.

ومن الأسباب التي دفعتني إلى اختيار هذا الموضوع أنّ أعداء الإسلام تنبهوا إلى أنّ قوة المسلمين تكمن في التزامهم بما في القرآن والسنة من عقائد وشرائع وأخلاق، وفطنوا إلى ضرورة حرب الإسلام كدين ومنهج للحياة. فعمدوا إلى تخريب العقيدة والقضاء على القيم الإسلامية، فبرزت في الأمة الإسلامية دعوتان، إحداهما تنادي بالتحرر وأخرى – كرد فعل – تنادي بالتشدد، من هنا كان الإضراب النفسي الذي تعاني منه الأمة، فكان الحل هو الأخذ بوسطية الإسلام من حيث الالتزام بما جاء به الشرع الحنيف.

ولذا كانت الضرورة ملحةً إلي مزيدٍ من الدراسات في مجال الفكر الوسطي وربطها بالكتاب والسنة, تفعيلها وتطبيقها في واقعنا ومن أجل الفرد المسلم خاصة ومن ثم مجتمعنا المسلم عامة، فجاءت هذه الدّراسة.

أهمية الدراسة:

تكمن أهمية هذه الدراسة في أنّها تبرز أهمية الفكر الوسطي الذي يعُدُّ أساساً في التربية وتوجيه النشء، كما تبرز النماذج العملية لحياة النبي صلي الله عليه وسلم، مع أصحابه ، مما يسهل علي المؤمن التمسك بها، بجانب أنها استجابة لتوصيات عديدة

(1) أخرجه البخاري في صحيحه، كتاب النكاح ،باب الترغيب في النكاح، 7/2(5063).

(2) المائدة:8.

من الدراسات والندوات التي تدعو إلي الاهتمام بالبحوث التي تتناول الفكر الوسطي المعتمد على القرآن الكريم والسنة المطهرة كمصدرين أساسيين في التربية الإسلامية.

مشكلة البحث

تكمن مشكلة البحث في إبراز الوسطية الإسلامية الشاملة لكل جوانب الحياة العقدية والسياسية والاجتماعية والاقتصادية، لأن الإسلام باعتباره نظاما شاملاً للحياة، كما قال تعالى:﴿ٱلْيَوْمَ أَكْمَلْتُ لَكُمْ دِينَكُمْ ﴾.[1]

أسئلة الدراسة

في ضوء ما سبق تتمثل مشكلة الدراسة في محاولة الإجابة علي التساؤلات الآتية : ما هو مفهوم الفكر الوسطي في الإسلام؟ وإلي أي مدى أسهمت السنة النبوية في اعتدال فكر الأمة؟ وماهي فائدة تأصيل الفكر الوسطي في المجتمع المسلم ؟ وكيف نحارب الغلو في الأمة الإسلامية من منطلق إسلامي وواقعي؟

أهداف الدارسة

تهدف الدراسة إلى صياغة وجدان المسلم وفق الأسس التي أقرها الله تعالي لتغير سلوك الإنسان حتي يعيش الأفراد في مجتمع آمن, ومن هذا المفهوم رأت الباحثة أن يكون الهدف الأساسي لهذه الدراسة هو محاولة التعرف علي الوسطية المضمنة في السنة النبوية، ومحاولة التعرف علي الدور الذي تقوم به السنة النبوية في التوجيه الصحيح للمجتمع الإسلامي.

منهج الدراسة

سار البحث في ركاب المنهج الاستقرائي التحليلي، وذلك لأنه يتيح الفرصة أمام الاستنتاج والاستدلال لأفكار ومعلومات من النصوص الشرعية,[2] وعلي هذا الأساس

(1) المائدة:3.

(2) البحث العلمي, عبد العزيز الديعة , 178/1, مكتبة الملك فهد الوطنية, الرياض, 1318هـ .

فإنّ الدراسة في هذا تعتمد علي الرجوع إلى مصادر التشريع. وتقر الباحثة إنها لا تقدم منهجاً متكاملاً لكل ما جاء به الإسلام من وسطية، لكن لبعض النماذج في الجوانب العقدية والاجتماعية والسياسية والاقتصادية، وقد بيّن البحث من خلال المناقشة في الفصل الأول هذه الأهمية، وعظم الحاجة إليها. ولأن العقيدة هي الأساس لباقي الجوانب الاجتماعية والسياسية والاقتصادية.

وقد تتبعتُ الأحاديث الواردة في المجالات الأربعة والتي تدعم الفكر الوسطي. فما كان في الصحيحين اكتفي بهما، أما ما كان في غيرهما فأدرسه ثم أبيّن درجته، ثم أبيّن موضع الشاهد في تلك النصوص.

هيكل البحث:

يتكون البحث من تمهيدٍ ، ومقدمة، وأربعة فصول، أمّا المقدمة فقد تضمنت أسباب اختيار البحث، وأهميته ومشكلته، وأسئلته وبيان المنهج المتبع في كتابة البحث وأهدافه . وقد قسمت فصول البحث كما يلي:

الفصل الأول: الأحاديث النبوية في بناء الفكر الوسطي في العقيدة. وفيه مبحثان، المبحث الأول : الإيمان. المبحث الثاني : العبادة.

الفصل الثاني: الأحاديث النبوية في بناء الفكر الوسطي في السياسة. وفيه مبحثان، المبحث الأول: قواعد النظام السياسي في الإسلام. المبحث الثاني: الأنظمة المخالفة للنظام السياسي الإسلامي.

الفصل الثالث: الأحاديث النبوية في بناء الفكر الوسطي في المجتمع. وفيه مبحثان، المبحث الأول: أهم المشكلات الاجتماعية وسبل الوقاية منها وعلاجها. المبحث الثاني: أهمية الأسرة ومكانتها في الإسلام.

الفصل الرابع: الأحاديث النبوية في بناء الفكر الوسطي في الاقتصاد. وفيه مبحثان، المبحث الأول: خصائص النظام الاقتصادي الإسلامي. المبحث الثاني: الملكية في الاقتصادي الإسلامي.

خاتمة : وتتضمن أهمّ النتائج والتوصيات.

التمهيد

التعريف بالوسطية

الوسطية في اللغة: من وسط: وسَطُ الشَّيْءِ: مَا بَيْنَ طرَفَيْه؛ تَقُولُ: جَلَسْتُ وسْطَ الْقَوْمِ أَي بيْنَهم؛ أن أوسط الشيء أفضله وخياره كوسَطُ المرعى خير من طرفيه، فلما كان وسَطُ الشيء أفضله وَمِنْهُ سُمِّيَتِ الصَّلَاةُ الوُسْطَى لأَنها أَفضلُ الصَّلَوَاتِ وأَعظمها أَجْراً، وذلك في مثل قوله تعالى: ﴿ وَكَذَٰلِكَ جَعَلْنَٰكُمْ أُمَّةً وَسَطًا ﴾ [1] أي عدلا. وقد ورد معنى (وسَطُ) في اللغة العربية بالتوسط بين أمرين والأعدل والأفضل[2].

الوسط في الإسلام ليس أن يجعل المسلم نفسه وسطاً ومحوراً في اجتهاداته، فمن خالفه في رأيه نحو التشدد فقد أفرط، ومن خالفه نحو التحرر فقد فرط، إنما يقصد بها اتباع الحق هو الالتزام بكتاب الله تعالى وسنة نبيه صلى الله عليه وسلم، ويؤكد ذلك قول الله تعالى: ﴿يَٰٓأَهْلَ ٱلْكِتَٰبِ لَا تَغْلُوا۟ فِى دِينِكُمْ وَلَا تَقُولُوا۟ عَلَى ٱللَّهِ إِلَّا ٱلْحَقَّ ﴾[3] والغلو الخروج عن الحد ، وذلك لأن الحق بين طرفي الافراط والتفريط ، ودين الله بين الغلو والتقصير، أي لا تغلوا في دينكم غلواً غير الحق، أي غلواً باطلاً ، لأن الغلو في الدين نوعان : غلو حق ، وهو أن يبالغ في تقريره وتأكيده ، وغلو باطل وهو أن يتكلف في تقرير الشبه وإخفاء الدلائل ، وذلك الغلو هو أن اليهود لعنهم الله نسبوه إلى الزنا . وإلى أنه كذاب ، والنصارى ادعوا فيه الإلهية [4].

(1) سورة البقرة: 143.

(2) لسان العرب 426/7-429.

(3) سورة النساء : 171.

(4) مفاتيح الغيب = التفسير الكبير، أبو عبد الله محمد بن عمر بن الحسن بن الحسين التيمي الرازي الملقب بفخر الدين الرازي خطيب الري ، دار إحياء التراث العربي – بيروت، ط: الثالثة، 1420 هـ 411/12.

والوسطية في الإسلام، كما قال تعالى: ﴿ وَيُحِلُّ لَهُمُ ٱلطَّيِّبَٰتِ وَيُحَرِّمُ عَلَيۡهِمُ ٱلۡخَبَٰٓئِثَ ﴾ [1]فقد أباح الإسلام الطيبات وحرم الخبائث. وحذرنا رسول الله صلى الله عليه وسلم من الغلو أي التشديد ومجاوزة الحد، مبيناً أنه سبب هلاك من قبلنا، ورويَّ عن يَعْقُوبُ بْنُ إِبْرَاهِيمَ الدَّوْرَقِيُّ، قَالَ: حَدَّثَنَا ابْنُ عُلَيَّةَ، قَالَ: حَدَّثَنَا عَوْفٌ، قَالَ: حَدَّثَنَا زِيَادُ بْنُ حُصَيْنٍ، عَنْ أَبِي الْعَالِيَةِ، قَالَ: قَالَ ابْنُ عَبَّاسٍ: قَالَ لِي رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ غَدَاةَ الْعَقَبَةِ وَهُوَ عَلَى رَاحِلَتِهِ: «هَاتِ، الْقُطْ لِي» فَلَقَطْتُ لَهُ حَصَيَاتٍ هُنَّ حَصَى الْخَذْفِ، فَلَمَّا وَضَعْتُهُنَّ فِي يَدِهِ، قَالَ: «بِأَمْثَالِ هَؤُلَاءِ، وَإِيَّاكُمْ وَالْغُلُوَّ فِي الدِّينِ، فَإِنَّمَا أَهْلَكَ مَنْ كَانَ قَبْلَكُمُ الْغُلُوُّ فِي الدِّينِ»[2] قال ابن تيمية قوله إياكم والغلو في الدين عام في جميع أنواع الغلو في الاعتقادات والأعمال والغلو مجاوزة الحد بأن يزاد في مدح الشيء أو ذمه على ما يستحق ونحو ذلك [3].

وسطية الدين الإسلامي مستمدة من وسطية منهجه وأحكامه، فهو منهج الاعتدال والتوازن ، فلا غلو ولا تقصير، ولا عسر ومشقة، قال تعالى: ﴿يُرِيدُ ٱللَّهُ بِكُمُ

(1)سورة الأعراف : 157.

(2) أخرجه النسائي في سننه الكبرى، أبواب الرمي، التقاط الحصى، الرقم (4063) 435/2. يعقوب ابن إبراهيم ابن كثير ابن زيد ابن أفلح العبدي مولاهم أبو يوسف الدورقي ثقة من العاشرة. أنظر: تقريب التهذيب، أبو الفضل أحمد بن علي بن محمد بن أحمد بن حجر العسقلاني، المحقق: محمد عوامة، دار الرشيد – سوريا، ط: الأولى، 1406 – 1986، ص: 607.إسماعيل ابن إبراهيم ابن مقسم الأسدي المعروف بابن علية ثقة حافظ من الثامنة. المرجع نفسه (ص: 105) وعوف ابن أبي جميلة الأعرابي العبدي البصري ثقة رمي بالقدر وبالتشيع من السادسة. المرجع نفسه (ص: 433) وزياد ابن الحصين ابن قيس الحنظلي أو الرياحي أبو جهمة البصري ثقة يرسل من الرابعة. المرجع نفسه (ص: 219) ورفيع بالتصغير ابن مهران أبو العالية الرياحي ثقة كثير الإرسال من الثانية. المرجع نفسه (ص: 210) . الإسناد صحيح رجاله ثقات.

(3) فيض القدير شرح الجامع الصغير، زين الدين محمد المدعو بعبد الرؤوف بن تاج العارفين بن علي بن زين العابدين الحدادي ثم المناوي القاهري، المكتبة التجارية الكبرى – مصر، ط: الأولى، 1356.3/ 126.

ٱلۡيُسۡرَ وَلَا يُرِيدُ بِكُمُ ٱلۡعُسۡرَ ﴾[1] .فهو منهج كامل وشامل وقال عز وجل:﴿ ٱلۡيَوۡمَ أَكۡمَلۡتُ لَكُمۡ دِينَكُمۡ وَأَتۡمَمۡتُ عَلَيۡكُمۡ نِعۡمَتِي وَرَضِيتُ لَكُمُ ٱلۡإِسۡلَٰمَ دِينٗا ﴾.[2] والوسطية في الإسلام، تشمل المجال العقدي و الاجتماعي والاقتصادي والسياسي، وهذه السماحة والوسطية ساعدت في انتشار الإسلام.

ومن معاني الوسطية التي أهتم بها الإسلام: الوسطية في الدعوة وهي التي تتجسد في التيسير في الفتوى دون الخروج عن الدليل الشرعي، بل مراعاة حال السائل كما كان هديه صلى الله عليه وسلم. والدعوة إلى الحوار والمجادلة بالتي هي أحسن والدعوة بالحسنى ، قال تعالى:﴿ ٱدۡعُ إِلَىٰ سَبِيلِ رَبِّكَ بِٱلۡحِكۡمَةِ وَٱلۡمَوۡعِظَةِ ٱلۡحَسَنَةِۖ وَجَٰدِلۡهُم بِٱلَّتِي هِيَ أَحۡسَنُۚ إِنَّ رَبَّكَ هُوَ أَعۡلَمُ بِمَن ضَلَّ عَن سَبِيلِهِۦۖ وَهُوَ أَعۡلَمُ بِٱلۡمُهۡتَدِينَ ﴾ [3].

الوسطية المطلوبة هي التزام المسلم بالدين الحنيف اعتقاداً وقولاً وعملاً فهو دين الوسط المقرون بالاستقامة قال تعالى : ﴿ إِنَّ ٱلَّذِينَ قَالُواْ رَبُّنَا ٱللَّهُ ثُمَّ ٱسۡتَقَٰمُواْ تَتَنَزَّلُ عَلَيۡهِمُ ٱلۡمَلَٰٓئِكَةُ أَلَّا تَخَافُواْ وَلَا تَحۡزَنُواْ وَأَبۡشِرُواْ بِٱلۡجَنَّةِ ٱلَّتِي كُنتُمۡ تُوعَدُونَ ﴾ [4].

(1)سورة البقرة : 185.
(2) سورة المائدة: 3.
(3) سورة النحل : 125.
(4) سورة فصلت :30

الفصل الأول

الأحاديث النبوية و بناء الفكر الوسطي في العقيدة

المبحث الأول الإيمان:

الإيمان في اللغة: هو التصديق، لقوله تعالى عن إخوة يوسف: ﴿ وَمَآ أَنتَ بِمُؤۡمِنٖ لَّنَا ﴾[1]، أي: بمصدق لنا.

الإيمان في الشرع: مذهب السلف: أن الإيمان اعتقاد وقول وعمل يزيد وينقص، فتوسطوا بذلك بين المرجئة الذين أخرجوا العمل عن مسمى الإيمان والخوارج والمعتزلة الذين أنكروا زيادة الإيمان ونقصانه.[2] يروى عن أبي هريرة رضي الله عنه إنه قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: « الْإِيمَانُ بِضْعٌ وَسَبْعُونَ – أَوْ بِضْعٌ وَسِتُّونَ – شُعْبَةً، فأفضلها قَوْلُ: لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ، وَأَدْنَاهَا إِمَاطَةُ الْأَذَى عَنِ الطَّرِيقِ، وَالْحَيَاءُ شُعْبَةٌ مِنَ الإيمان».[3] هذا الحديث من جملة النصوص الدالة على أن الإيمان اسم يشمل عقائد القلب وأعماله، وأعمال الجوارح، وقول اللسان، فأعلى هذه الشعب وأصلها وأساسها، قول: " لا إله إلا الله "أي أن يقولها المسلم صادقاً من قلبه، بحيث يعلم ويوقن أنه لا يستحق هذا الوصف العظيم، وهو الألوهية إلا الله وحده.[4] .

(1) سورة يوسف:17.

(2) لوامع الأنوار البهية وسواطع الأسرار الأثرية لشرح الدرة المضية في عقد الفرقة المرضية، شمس الدين، أبو العون محمد بن أحمد بن سالم السفاريني الحنبلي،(1 / 405) مؤسسة الخافقين ومكتبتها – دمشق، ط: الثانية – 1402 هـ – 1982 م.

(3) أخرجه مسلم في صحيحه ،كتاب الإيمان، باب شعب الإيمان، 1 / 63 (35).

(4) بهجة قلوب الأبرار وقرة عيون الأخيار في شرح جوامع الأخبار، أبو عبد الله، عبد الرحمن بن ناصر بن عبد الله بن ناصر بن حمد آل سعدي ، وزارة الشئون الإسلامية والأوقاف والدعوة والإرشاد ، المملكة العربية السعودية، ط الرابعة، 1423هـ ، ص: 16.

الإيمان عند الْمُرْجِئَةُ [1]:هو التصديق بالقلب فقط، وغلاتهم قالوا: إن الإيمان هو المعرفة وهو المشهور عن الجهم بن صفوان[2].

يقول ابن حزم[3]: "ذهب قوم إلى أن الإيمان إنما هو معرفة الله تعالى بالقلب فقط، وإن أظهر اليهودية أو النصرانية وسائر أنواع الكفر بلسانه وعبادته. فإذا عرف الله تعالى بقلبه فهو مسلم من أهل الجنة" [4].

وهذا القدر وحده لا يكفي لإثبات الإيمان – حتى دون إظهار الكفر باللسان – وإلا كان إبليس مؤمناً، فقد قال الله تعالى على لسانه: ﴿ قَالَ أَنظِرْنِيٓ إِلَىٰ يَوْمِ يُبْعَثُونَ ﴾ [5] .

سأتناول أصلان عقديان توسط أهل السنة فيها بين فرق الأمة:

الأصل الأول: أسماء الله وصفاته : توسَّط أهل السنة في الأسماء والصفات بين المعطلة والممثلة.

---

(1) المرجئة طائفة من فرق المسلمين، : سبب التسمية لأَنهم يرجئون الْعَمَل عَن النِّيَّة أَو لأَنهم يَقُولُونَ لَا يضر مَعَ الْإِيمَان مَعْصِيّة، فهم يُعْطون الرَّجَاء. أنظر كتاب المواقف، عبد الرحمن بن أحمد بن عبد الغفار، أبو الفضل، عضد الدين الإيجي، المحقق: عبد الرحمن عميرة، (3 / 705) دار الجيل ، لبنان – بيروت، ط: الأولى، 1417هـ - 1997م.

(2) أَبُو مُحْرِزٍ الرَّاسِبِيُّ مَوْلاَهُم, السَّمَرْقَنْدِيُّ, الكَاتِبُ, المتَكَلِّمُ, أُسُّ الضَّلاَلَةِ, وَرَأْسُ الجَهْمِيَّةِ. أنظر: سير أعلام النبلاء ، شمس الدين أبو عبد الله محمد بن أحمد بن عثمان بن قَايْماز الذهبي ، دار الحديث– القاهرة، ط 1427هـ-2006م ،(6 / 204) .

(3) أَبُو محمد؛ علي ابن أَحْمَدُ بنُ سَعِيْدِ بنِ حَزْمِ بنِ غَالِبِ بنِ صَالِحِ بنِ خَلَفِ بنِ مَعْدَانَ بنِ سُفْيَانَ بنِ يَزِيْدَ الفَارِسِيُّ الأَصْلِ ثُمَّ الأَنْدَلُسِيُّ القُرْطُبِيُّ اليَزِيْدِيُّ مَوْلَى الأَمِيْرِ يَزِيْدَ بنِ أَبِي سُفْيَانَ بنِ حَرْبٍ الأُمَوِيِّ – رَضِيَ اللهُ عَنْهُ– المعْرُوف بيَزِيْد الخَيْر نَائِب أَمِيْر المؤْمِنِيْنَ أَبِي حَفْصٍ عُمَر عَلَى دِمَشْقَ الفَقِيْهُ الحَافِظُ المتَكَلِّمُ الأَدِيْبُ الوَزِيْرُ الظَّاهِرِيُّ صَاحِبُ التَّصَانِيْفِ. المرجع نفسه (13 / 373).

(4) الملل والأهواء والنحل، أبو محمد علي بن أحمد بن سعيد بن حزم الأندلسي القرطبي الظاهري، مكتبة الخانجي – القاهرة ، 3 / 118.

(5) سورة الأعراف 14.

أهل السُّنَّة والجماعة: يُثبتون كلَّ ما أثبته اللهُ لنفسه وأثبته له رسولُه صلى الله عليه وسلم من الأسماء والصفات على وَجه يليق بكماله وجلاله، مِن غير تَكييف أو تَمثيل، ومن غير تَعطيل أو تأويل.

الطوائف الذين ضلوا في باب أسماء الله عز وجل وصفاته:

الْمُعْتَزِلَة[1]:ومن اتّبعهم فأثبتوا له الأسماء دون ما تضمنته من الصفات، فمنهم من جعل العليم والقدير كالأعلام المحضة المترادفات، ومنهم من قال: عليم بلا علم، قدير بلا قدرة، فأثبتوا الاسم دون ما تضمّنه من الصفات. فقالوا: هو عالم بذاته، قادر بذاته؛ لا بعلم وقدرة . هي صفات قديمة، ومعان قائمة به [2].

الْجَهْمِية[3]: هم الذين عطلوا الله عن الأسماء والصفات فلم يثبتوا له الأسماء ولم يثبتوا له الصفات، وقد ثبت في الصحيح صفة العلو لله عن جابر بن عبد الله أن النبي صلى الله عليه وسلم لما خطب خطبته العظيمة يوم عرفات، في أعظم مجمع حضره الرسول صلى الله عليه وسلم؛ جعل يقول: (ألا هل بلغت؟ فيقولون: نعم! فيرفع إصبعه إلى السماء وينكبها إليهم ويقول: اللهم اشهد)[4] غير مرة، وأمثال ذلك كثير. فيه رد على الجهمية بالإشارة إليه حساً إلى العلو، كما أشار إليه من هو أعلم به.

(1) المعتزلة فرقة من أشهر الفرق الإسلامية، ويسمون أنفسهم أصحاب العدل والتوحيد، ولعل الراجح في تسميتهم بالمعتزلة لاعتزال رئيسهم واصل ابن عطاء حلقة الحسن البصري. أنظر لوامع الأنوار البهية (1 / 72)

.

(2) الملل والنحل، أبو الفتح محمد بن عبد الكريم بن أبي بكر أحمد الشهرستاني، مؤسسة الحلبي، 1 / 44.

(3) الجهمية: هم المعطلة، اتِّبَاع جهم بن صَفْوَان الضال المبتدع. أنظر الفرق بين الفرق وبيان الفرقة الناجية، عبد القاهر بن طاهر بن محمد بن عبد الله البغدادي التميمي الأسفراييني، أبو منصور،(ص: 199)، دار الآفاق الجديدة – بيروت، ط: الثانية، 1977م.

(4) أخرجه البخاري في صحيحه، كتاب العلم، باب ليبلغ العلم الشاهد الغائب، 33/1(105).

الممثلة [1]: يضربون لله الأمثال، كقول بعضهم: "يد الله كيدي" و"سمع الله كسمعي" تعالى الله عما يقولون علواً كبيراً، بل لا بد من إثبات بلا تمثيل، وتنزيه بلا تعطيل.[2] فقوله:﴿لَيْسَ كَمِثْلِهِۦ شَىْءٌ ﴾.[3] ردٌّ على المشبهة وقوله:﴿وَهُوَ ٱلسَّمِيعُ ٱلْبَصِيرُ ﴾ [4] ردٌّ على المعطلة .

المفوضة[5]: يقولون: إن الرسول صلى الله عليه وسلم لم يعرف معاني ما أنزل الله إليه من آيات الصفات، ولا جبريل يعرف معاني الآيات، ولا السابقون الأولون عرفوا ذلك. وكذلك قولهم في أحاديث الصفات: إن معناها لا يعلمه إلا الله، مع أن الرسول تكلم بها ابتداء، فعلى قولهم تكلم بكلام لا يعرف معناه. وقال شيخ الإسلام ابن تيمية رحمه الله وهؤلاء أهل التضليل والتجهيل الذين حقيقة قولهم: إن الأنبياء جاهلون ضالون، لا يعرفون ما أراد الله بما وصف به نفسه من الآيات وأقوال الأنبياء[6].

(1) والتمثيل: هو الاعتقاد في صفات الخالق أنها مثل صفات المخلوق. أنظر العرش، شمس الدين أبو عبد الله محمد بن أحمد بن عثمان بن قَايْماز الذهبي، المحقق: محمد بن خليفة بن علي التميمي،(1 / 115)، عمادة البحث العلمي بالجامعة الإسلامية، المدينة المنورة، المملكة العربية السعودية، ط: الثانية، 1424هـ/2003م.

(2) التدمرية: تحقيق الإثبات للأسماء والصفات وحقيقة الجمع بين القدر والشرع، تقي الدين أبو العباس أحمد بن عبد الحليم بن عبد السلام بن عبد الله بن أبي القاسم بن محمد ابن تيمية الحراني الحنبلي الدمشقي، المحقق: د. محمد بن عودة السعوي، مكتبة العبيكان – الرياض، ط السادسة، 1421هـ / 2000م ، ص: 30.

(3) سورة الشورى:11.

(4) سورة الشورى:11.

(5) المفوضة من الفرق المنتسبة إلى الإسلام، قَالُوا الله فوض خلق الدُّنْيَا إِلَى مُحَمَّد أَي الله خلق مُحَمَّدًا وفوض إِلَيْهِ خلق الدُّنْيَا فَهُوَ الخلاق لَهَا بِمَا فِيهَا وَقيل فوض ذَلِك إِلَى عَليّ بن ابى طَالب. أنظر المواقف (3 / 684) مرجع سابق.

(6) درء تعارض العقل والنقل، تقي الدين أبو العباس أحمد بن عبد الحليم بن عبد السلام بن عبد الله بن أبي القاسم بن محمد ابن تيمية الحراني الحنبلي الدمشقي، تحقيق: الدكتور محمد رشاد سالم، 15/1،جامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية، المملكة العربية السعودية، ط: الثانية، 1411 هـ - 1991 م

الأصل الثاني: أصحاب النبي صلى الله عليه وسلم: أهل السنة أحبوا الصحابة، وأحبوا قبلهم نبيهم صلى الله عليه وسلم، ولم يغلوا في أحد منهم، بل اعتقدوا أنهم بشر، وأن فضلهم إنما هو بالأعمال الصالحة، وأن محبتهم إنما تحمل على إتباعهم.

الرافضة[1]: غالوا في علي بن أبي طالب رضي الله عنه حتى أبلغوه درجة الألوهية فجعلوه رب العالمين. وسبوا الصحابة وكفروا الخلفاء الراشدين والصحابة، ونجدهم جمعوا بين بدعتين بين الغلو والتقصير في أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم.

الخوارج: كفروا علياً وعثمان، وكفروا من كان معهم من صحابة رسول الله صلى الله عليه وسلم.

وأهل السنة والجماعة:وسط بين هاتين الضلالتين،فيوالون أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم جميعاً،ويعتقدون أنهم خير القرون، وأنه ما كان ولن يكون مثلهم رضي الله عنهم قال تعالى: ﴿ وَٱلسَّٰبِقُونَ ٱلۡأَوَّلُونَ مِنَ ٱلۡمُهَٰجِرِينَ وَٱلۡأَنصَارِ وَٱلَّذِينَ ٱتَّبَعُوهُم بِإِحۡسَٰنٖ رَّضِيَ ٱللَّهُ عَنۡهُمۡ وَرَضُواْ عَنۡهُ وَأَعَدَّ لَهُمۡ جَنَّٰتٖ تَجۡرِي تَحۡتَهَا ٱلۡأَنۡهَٰرُ خَٰلِدِينَ فِيهَآ أَبَدٗاۚ ذَٰلِكَ ٱلۡفَوۡزُ ٱلۡعَظِيمُ ﴾[2].

(1) الرافضة طائفة من الشيعة، سموا الرَّافِضَةَ، وَالنِّسْبَةُ رَافِضِيٌّ، ثُمَّ انْقَسَمُوا ثَلَاثَ فِرَقٍ، أنظر لوامع الأنوار البهية (1 / 85) .

(2) سورة التوبة:100.

المبحث الثاني

العبادة

عرَّف شيخ الإسلام ابن تيمية العبادة بقوله: هي اسم جامع لكل ما يحبه الله ويرضاه من الأقوال والأفعال الظاهرة والباطنة[1].وهذا يدل على شمول العبادة، فهي تشمل: العبادات المحضة والعبادات غير المحضة.

هذه الأمة وسط بين الأمم في العبادات وغيرها، ودليل ذلك قوله تعالى: ﴿ وَكَذَلِكَ جَعَلْنَكُمْ أُمَّةً وَسَطًا ﴾ [2]، والوسط هنا يقصد به أنها بين الغلو والتقصير، ولذلك نجد أن أهل السنة والجماعة وسطٌ بين الفرق، وأتبعوا النبي صلى الله عليه وسلم وأصحابه، فهي الفرقة الناجية كما في حديث، وَهْبُ بْنُ بَقِيَّةَ، عَنْ خَالِدٍ، عَنْ مُحَمَّدِ بْنِ عَمْرٍو، عَنْ أَبِي سَلَمَةَ، عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ، قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «افْتَرَقَتِ الْيَهُودُ عَلَى إِحْدَى أَوْ ثِنْتَيْنِ وَسَبْعِينَ فِرْقَةً، وَتَفَرَّقَتِ النَّصَارَى عَلَى إِحْدَى أَوْ ثِنْتَيْنِ وَسَبْعِينَ فِرْقَةً، وَتَفْتَرِقُ أُمَّتِي عَلَى ثَلَاثٍ وَسَبْعِينَ فِرْقَةً»[3].

---

(1) الفتاوى الكبرى لابن تيمية، تقي الدين أبو العباس أحمد بن عبد الحليم بن عبد السلام بن عبد الله بن أبي القاسم بن محمد ابن تيمية الحراني الحنبلي الدمشقي ،5 / 154، دار الكتب العلمية، ط: الأولى، 1408هـ - 1987م.

(2) سورة البقرة: 143.

(3) أخرجه أبو داود سننه، كِتَاب السُّنَّةِ، بَابُ شَرْحِ السُّنَّةِ، 4 / 197،(4596). وهب بن بقية بن عثمان الواسطي أبو محمد يقال له وهبان ثقة من العاشرة مات سنة تسع وثلاثين وله خمس أو ست وتسعون سنة. أنظر تقريب التهذيب مرجع سابق(ص: 584). خالد بن عبد الله ابن عبد الرحمن بن يزيد الطحان الواسطي المزني مولاهم ثقة ثبت من الثامنة مات سنة اثنتين وثمانين وكان مولده سنة عشر ومائة . أنظر تقريب التهذيب مرجع سابق(ص: 189) .محمد بن عمرو بن علقمة ابن وقاص الليثي المدني صدوق له أوهام من السادسة مات سنة خمس وأربعين على الصحيح . تقريب التهذيب مرجع سابق(ص: 499) . أبو سلمة بن عبد الرحمن بن عوف الزهري المدني قيل اسمه عبد الله وقيل إسماعيل ثقة مكثر من الثالثة مات سنة أربع وتسعين أو أربع ومائة وكان مولده سنة بضع وعشرين . انظر تقريب التهذيب مرجع سابق(ص: 645) . الإسناد حسن

=

وثبت عن الرسول الله صلى الله عليه وسلم أنه حمى جناب التوحيد من كل ما يهدمه أو ينقصه حماية محكمة. فحذر عليه السلام من الغلو على وجه العموم، وفي حديث أَبي هُرَيْرَةَ رَضِيَ اللَّهُ: أَنَّهُ سَمِعَ رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يَقُولُ: «إِنَّمَا مَثَلِي وَمَثَلُ النَّاسِ كَمَثَلِ رَجُلٍ اسْتَوْقَدَ نَاراً، فَلَمَّا أَضَاءَتْ مَا حَوْلَهُ جَعَلَ الفَرَاشُ وَهَذِهِ الدَّوَابُّ الَّتِي تَقَعُ فِي النَّارِ يَقَعْنَ فِيهَا، فَجَعَلَ يَنْزِعُهُنَّ وَيَغْلِبْنَهُ فَيَقْتَحِمْنَ فِيهَا، فَأَنَا آخُذُ بِحُجَزِكُمْ عَنِ النَّارِ، وَهُمْ يَقْتَحِمُونَ فِيهَا» [1].

من أنواع الغلو المحرم والذي يوصل إلى الشرك الأكبر، تصوير الأولياء والصالحين، من المعلوم أن أول شرك حدث في بني آدم سببه الغلو في الصالحين بتصويرهم, كما حصل من قوم نوح عليه السلام, يقول ابن عباس رضي الله عنهما في قول الله تعالى: ﴿ وَقَالُوا۟ لَا تَذَرُنَّ ءَالِهَتَكُمْ وَلَا تَذَرُنَّ وَدًّا وَلَا سُوَاعًا وَلَا يَغُوثَ وَيَعُوقَ وَنَسْرًا ﴾ [2] قال: "هذه أسماء رجال صالحين من قوم نوح، فلما هلكوا أوحى الشيطان إلى قومهم أن انصبوا إلى مجالسهم التي كانوا يجلسون فيها أنصاباً، وسموها بأسمائهم، ففعلوا. ولم تعبد حتى إذا هلك أولئك ونُسي العلم عُبدت".[3] ولا شك أن تصوير كبار العلماء ومشاهير الصالحين أعظم تسببا في إيقاع الجهل في الشرك مع وضع الأنصاب في مجالسهم, وبالأخص إذا نصبت تلك الصور في أماكن العبادة [4].

، محمد بن عمرو صدوق له أوهام.

(1) أخرجه البخاري في صحيحه، كتاب الرقاق، باب الانتهاء عن المعاصي، 8 / 102(6483) ومسلم في صحيحه، كتاب، الفضائل باب شفقته صلى الله عليه وسلم على أمته 1789/4(2284)

(2) سورة نوح : 23.

(3) أخرجه البخاري في صحيحه, كتاب تفسير القرآن, باب {ودا ولا سواعا، ولا يغوث ويعوق} [نوح: 23]، 160/6(4920).

(4) التوحيد ، محمد بن عبد الوهاب بن سليمان التميمي النجدي ، المحقق: عبد العزيز بن عبد الرحمن السعيد وغيره، جامعة الأمام محمد بن سعود، الرياض، المملكة العربية السعودية، بدون ط، بدون تاريخ، ص: 56

فكانت دعوة رسول الله صلى الله عليه وسلم لقومه أن يخلصوا عبادتهم لله وحده، فدعوة رسول الله صلى الله عليه وسلم كانت واضحة المعالم لكن بعض الناس عبدوا غير الله، بسبب الغلو في المخلوق ، فوقعوا في الشرك. والمعروف أن الشرك أعظم ذنب عُصِيَ الله به، ولهذا يترتب عليه من عقوبات الدنيا والآخرة ما لم يرتب على ذنب سواه، فينبغي للمؤمن أن يحذره ويعرف أسبابه ومبادئه وأنواعه لئلا يقع فيه، ولهذا قال حذيفة: " كَانَ النَّاسُ يَسْأَلُونَ رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ عَنِ الخَيْرِ، وَكُنْتُ أَسْأَلُهُ عَنِ الشَّرِّ مَخَافَةَ أَنْ يُدْرِكَنِي" (1).

أنواع الشرك في العبادة كثيرة، من ذلك الشرك في العبادات التالية: الدعاء، والخوف والمحبة والرجاء والسجود والذبح والنذر والطواف، وغير ذلك من أنواع العبادة، التي يجب أن تكون لله وحده، لأن هذا من حق لا إله إلا الله، فليست المسألة مجرد قول لا إله إلا الله، ثم يتعلق الإنسان بالمقبورين، ويسألهم النفع ودفع الضر، أو يتبرك بقبورهم، ما أشبه ذلك؛ لأن هذا من الشرك الأكبر الذي ينافي قول لا إله إلا الله.

الشرك في الدعاء: يقول تعالى آمراً عباده أن يوحدوه في عبادته ولا يدعون معه أحداً ولا يشركون به شيئاً، قال تعالى: ﴿ وَأَنَّ ٱلْمَسَٰجِدَ لِلَّهِ فَلَا تَدْعُوا۟ مَعَ ٱللَّهِ أَحَدًا ﴾ (2) قال البيضاوي في تفسيره : وَأَنَّ الْمَساجِدَ لِلَّهِ مختصة به. فَلا تَدْعُوا مَعَ اللَّهِ أَحَداً فلا تعبدوا فيها غيره، وقيل المراد بالْمَساجِدَ الأرض كلها لأنها جعلت للنبي عليه الصلاة والسلام مسجداً. وقيل المسجد الحرام لأنه قبلة المساجد ومواضع السجود على أن المراد النهي عن السجود لغير الله(3).

(1) أخرجه البخاري في صحيحه، كتاب المناقب، باب علامات النبوة في الإسلام، 199/4(3606).

(2) سورة الجن: 18.

(3) أنوار التنزيل وأسرار التأويل، ناصر الدين أبو سعيد عبد الله بن عمر بن محمد الشيرازي ،المحقق: محمد عبد الرحمن المرعشلي، دار إحياء التراث العربي – بيروت، ط الأولى - 1418 هـ ، 5 / 253.

دعاء غير الله : فمَن دعا غير الله حكم عليه بالشرك، فحذر النبي صلى الله عليه وسلم الناس من الشرك بالله، لقوله سبحانه: ﴿ وَقَضَىٰ رَبُّكَ أَلَّا تَعْبُدُوٓاْ إِلَّآ إِيَّاهُ ﴾ [1]. وقال النبي صلى الله عليه وسلم :«من أتى عرافا فسأله عن شيء لم تقبل له صلاة أربعين يوما» [2].

وصور الشرك في الدعاء: أن يطلب من المخلوق ما لا يقدر عليه إلا الخالق، أو أن يجعل بينه وبين الله تعالى واسطة في الدعاء، قال الله تعالى حاكياً عن أسلاف هؤلاء المشركين: ﴿ وَٱلَّذِينَ ٱتَّخَذُواْ مِن دُونِهِۦٓ أَوْلِيَآءَ مَا نَعْبُدُهُمْ إِلَّا لِيُقَرِّبُونَآ إِلَى ٱللَّهِ زُلْفَىٰٓ إِنَّ ٱللَّهَ يَحْكُمُ بَيْنَهُمْ فِي مَا هُمْ فِيهِ يَخْتَلِفُونَ ﴾[3] والشفاعة التي أثبتها الله ورسوله هي الشفاعة الصادرة عن إذنه لمن وحده، وتأمل قول النبي صلى الله عليه وسلم لأبي هريرة رضي الله عنه – وقد سأله من أسعد الناس بشفاعتك يا رسول الله؟ – قال «أسعد الناس بشفاعتي من قال لا إله إلا الله خالصاً من قلبه»[4] كيف جعل أعظم الأسباب التي تنال بها شفاعته تجريد التوحيد، عكس ما عند المشركين أن الشفاعة تنال باتخاذهم أوليائهم شفعاء، ولم يعلموا أن الله لا يشفع عنده أحد إلا بإذنه، ولا يأذن في الشفاعة إلا لمن رضي قوله وعمله[5]، كما قال تعالى: ﴿ مَن ذَا ٱلَّذِى يَشْفَعُ عِندَهُۥٓ إِلَّا بِإِذْنِهِۦ ﴾ [6].

(1) سورة الإسراء: 23.

(2) أخرجه مسلم في صحيحه، كتاب الآداب، باب تحريم الكهانة وإتيان الكهان ،4 / 1751 (2230) .

(3) سورة الزمر: 3.

(4) أخرجه البخاري في صحيحه، كتاب العلم, باب الحرص على الحديث، 31/1(99).

(5) مدارج السالكين بين منازل إياك نعبد وإياك نستعين، محمد بن أبي بكر بن أيوب بن سعد شمس الدين ابن قيم الجوزية، تحقيق محمد المعتصم بالله البغدادي، دار الكتاب العربي – بيروت، طبعة: الثالثة، 1416 هـ - 1996م،1 / 349.

(6) سورة البقرة: 255.

وبناء على ذلك ندرك بطلان مذهب الشيعة الإمامية الاثني عشرية في الدعاء فقالوا: لا يفلح من دعا الله بغير الأئمة، ومن فعل ذلك فقد هلك، ويقول الله سبحانه: ﴿ وَلِلَّهِ ٱلْأَسْمَآءُ ٱلْحُسْنَىٰ فَٱدْعُوهُ بِهَا ﴾[1]. ولم يقل سبحانه: فادعوه بأسماء الأئمة أو مقامات الأئمة أو مشاهدهم[2].

الشرك في المحبة: أن يحب مخلوقاً محبة مقترنة بالخضوع والتعظيم، وهذه هي محبة العبودية، التي لا يجوز صرفها لغير الله، فمن صرفها لغيره فقد وقع في الشرك الأكبر، قال الله تعالى: ﴿ وَمِنَ ٱلنَّاسِ مَن يَتَّخِذُ مِن دُونِ ٱللَّهِ أَندَادًا يُحِبُّونَهُمْ كَحُبِّ ٱللَّهِ ﴾[3]. ويعترض بعض الواقعين في هذا النوع من الشرك: بأنهم يحبون الله حباً شديداً، ربما أشد من حبهم لأندادهم، فأين الشرك في ذلك؟

ويرد عليهم العلامة ابن القيم رحمه الله بقوله: وترى المشرك يكذب حاله وعمله قوله؛ فإنّه يقول: لا نحبهم كحب الله، ولا نسويهم بالله، ثم يغضب لهم ولحرماتهم إذا انتهكت أعظم مما يغضب لله، ويستبشر بذكرهم، سيما إذا ذكر عنهم ما ليس فيهم؛ من إغاثة اللهفان، وقضاء الحاجات، فإنك ترى المشرك يفرح، وتهيج منه لواعج التعظيم والخضوع لهم والموالاة، وإذا ذكرت له الله وحده، وجردت توحيده، لحقته ضيق، وحرج، ورماك بنقص الإلوهية التي له، وربما عاداك[4].

(1) سورة الأعراف: 180.

(2) أصول مذهب الشيعة الإمامية الإثني عشرية – عرض ونقد – ، ناصر بن عبد الله بن علي القفاري، ط الأولى، بدون ، 1414 هـ ،2 / 445.

(3) سورة البقرة:165.

(4) المفيد في مهمات التوحيد ، الدكتور عبد القادر بن محمد عطا صوفي، دار الإعلام، ط: الأولى 1422هـ-1423هـ ، ص: 124.

وخلاصة القول إنّ الشرك في المحبة هو الحب المبني على إيثار غير الله عز وجل بالذل والخضوع والطاعة في المحبة الخاصة بالله تعالى، كما قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: (فو الذي نفسي بيده، لا يؤمن أحدكم حتى أكون أحب إليه من والده وولده) [1].

الشرك في الذبح: هو الذبح تقرباً إلى مخلوق وتعظيماً له وخضوعاً له، ولا تجوز لقوله تعالى: ﴿ فَصَلِّ لِرَبِّكَ وَٱنْحَرْ ﴾ [2] وعن علي بن أبي طالب رضي الله عنه قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: " لَعَنَ اللهُ مَنْ ذَبَحَ لِغَيْرِ اللهِ ". [3] الذبح لغير الله في الحديث المراد به أن يذبح باسم غير الله تعالى كمن ذبح للصنم أو الصليب أو لموسى أو لعيسى صلى الله عليهما أو للكعبة ونحو ذلك فكل هذا حرام سواء كان الذابح مسلماً أو نصرانياً أو يهودياً ، فإنّ قصد مع ذلك تعظيم المذبوح له غير الله تعالى والعبادة له كان ذلك كفراً فإن كان الذابح مسلماً قبل ذلك صار بالذبح مرتداً [4].

ووجه الدليل من الآيتين على أن الذبح لغير الله جل وعلا شرك واضح جلي؛ وذلك أن الله جل وعلا قرن بين الصلاة وبين النسك، وقوله جل وعلا آمراً عبده ورسوله صلى الله عليه وسلم أن يقول: ﴿ قُلْ إِنَّ صَلَاتِي وَنُسُكِي وَمَحْيَايَ وَمَمَاتِي لِلَّهِ رَبِّ

(1) أخرجه البخاري في صحيحه، كتاب الإيمان، باب حب الرسول صلى الله عليه وسلم من الإيمان،12/1(14).

(2) سورة الكوثر:2.

(3) أخرجه مسلم في صحيحه، كتاب الأضاحي، باب تحريم الذبح لغير الله تعالى ولعن فاعله، 3 /1567 (1978).

(4) المنهاج شرح صحيح مسلم، أبو زكريا محيي الدين يحيى بن شرف النووي، دار إحياء التراث العربي – بيروت، ط الثانية، 1392، 13 / 14.

ٱلْعَٰلَمِينَ ﴿١٦٢﴾ لَا شَرِيكَ لَهُۥ وَبِذَٰلِكَ أُمِرْتُ ﴾ [1]. والنسك المقصود به: كل ما يذبح ويتقرب به[2].

الشرك في النذر: ومنه إخراج زكاة المال وتقديم الهدايا والصدقات إلى قبر ميت تقرباً إليه، أو تقديمها إلى سدنة القبر. وعَنْ عَائِشَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا، عَنِ النَّبِيِّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَالَ: «مَنْ نَذَرَ أَنْ يُطِيعَ اللَّهَ فَلْيُطِعْهُ، وَمَنْ نَذَرَ أَنْ يَعْصِيَهُ فَلاَ يَعْصِهِ».[3] وفي هذا الحديث أمر الرسول ﷺ مَن نذر طاعة الله أن يطيعه ونهى من نذر معصيته أن يعصيه. ولذا نذر المعصية يحرم الوفاء به، إذ لا نذر في معصية الخالق. وقد صرح علماء الحنفية: أن القبورية باستغاثتهم بالأموات عند الملمات ونذورهم للقبور وأهلها عند الكربات مرتكبون للشرك الأكبر، وأنهم أهل الشرك [4].

ومن البدع التي نهى عنها رسول الله ﷺ اتخاذ القبور مساجداً والسرج عليها؛ لأنّه من أعظم أسباب عبادة أصحابها. ما رواه جندب بن عبد الله – رضي الله عنه – قال: سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم قبل أن يموت بخمس وهو يقول:" أَلَا وَإِنَّ مَنْ كَانَ قَبْلَكُمْ كَانُوا يَتَّخِذُونَ قُبُورَ أَنْبِيَائِهِمْ وَصَالِحِيهِمْ مَسَاجِدَ، أَلَا فَلَا تَتَّخِذُوا الْقُبُورَ مَسَاجِدَ، إِنِّي أَنْهَاكُمْ عَنْ ذَلِكَ " [5].

(1) سورة الأنعام:162-163.

(2) تيسير العزيز الحميد في شرح كتاب التوحيد الذي هو حق الله على العبيد، سليمان بن عبد الله بن محمد بن عبد الوهاب، المحقق: زهير الشاويش، المكتب الإسلامي، بيروت، دمشق، ط الأولى، 1423هـ/2002م ، ص 5.

(3) أخرجه البخاري في صحيحه، كتاب الأيمان والنذور، باب النذر في الطاعة، 8 / 142(6696).

(4) جهود علماء الحنفية في إبطال عقائد القبورية, مرجع سابق، 1 / 342.

(5) أخرجه مسلم في صحيحه، كتاب المساجد ومواضع الصلاة، باب النهي عن بناء المساجد، على القبور واتخاذ الصور فيها والنهي عن اتخاذ القبور مساجد، 1/377(532).

وهكذا بقية العبادات كالتوكُّل، والتبرك، والتعظيم والتوبة والإنابة فهذه كلها عبادات لا يجوز أن تصرف لغير الله. عَنْ عِمْرَانَ بْنِ حُصَيْنٍ، أَنَّ رَسُولَ اللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَالَ: «يَدْخُلُ الْجَنَّةَ مِنْ أُمَّتِي سَبْعُونَ أَلْفًا بِغَيْرِ حِسَابٍ» ، قَالُوا: مَنْ هُمْ يَا رَسُولَ اللهِ؟ قَالَ: «هُمُ الَّذِينَ لَا يَسْتَرْقُونَ، وَلَا يَتَطَيَّرُونَ، وَلَا يَكْتَوُونَ، وَعَلَى رَبِّهِمْ يَتَوَكَّلُونَ») [1].

الفصل الثاني

الأحاديث النبوية في بناء الفكر الوسطي في السياسة

المبحث الأول: قواعد النظام السياسي في الإسلام

جاءت الشريعة الإسلامية بمبادئ سامية تقود الناس دائماً إلى الفلاح وتقضي على عوامل الشر والفساد ومن قواعد النظام السياسي في الإسلام: الشورى و السمع والطاعة والتقيد بالأنظمة والقوانين و العدل والمساواة والحرية.

القاعدة الأولى: الشورى: فقد جعل الإسلام الشورى أساساً للحكم فأمر نبيه بها قال تعالى: ﴿ وَشَاوِرْهُمْ فِي ٱلْأَمْرِ ﴾[2] وأمتدح المؤمنين بها فقال: ﴿ وَأَمْرُهُمْ شُورَىٰ بَيْنَهُمْ ﴾.[3] وتبرز ضرورة الشورى في أنها تساعد على اتحاد المجتمع المسلم، لإحساس أفراده بقيمتهم في اتخاذ القرار، وتساعد كذلك على التزام المسلمين بطاعة أولي الأمر، الذين أتاحوا لهم فرصة تداول الرأي في الأمور العامة، وكانت الشورى إحدى دعائم الحكم في العهد النبوي، وَشَاوَرَ النَّبِيُّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أَصْحَابَهُ يَوْمَ أُحُدٍ فِي المُقَامِ وَالخُرُوجِ، وَشَاوَرَ عَلِيّاً، وَأُسَامَةَ فِيمَا رَمَى بِهِ أَهْلُ الإِفْكِ عَائِشَةَ فَسَمِعَ مِنْهُمَا حَتَّى نَزَلَ القُرْآنُ، فَجَلَدَ الرَّامِينَ، وَلَمْ يَلْتَفِتْ إِلَى تَنَازُعِهِمْ، وَلَكِنْ حَكَمَ بِمَا أَمَرَهُ اللَّهُ وَكَانَ الأَئِمَّةُ بَعْدَ النَّبِيِّ

(1) أخرجه مسلم في صحيحه، كتاب الإيمان, باب الدليل على دخول طوائف من المسلمين الجنة بغير حساب ولا عذاب 1 / 198 (218).

(2) سورة آل عمران: 259.

(3) سورة الشورى: 38.

صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يَسْتَشِيرُونَ الأُمَنَاءَ مِنْ أَهْلِ العِلْمِ فِي الأُمُورِ المُبَاحَةِ لِيَأْخُذُوا بِأَسْهَلِهَا، فَإِذَا وَضَحَ الكِتَابُ أَوِ السُّنَّةُ لَمْ يَتَعَدَّوْهُ إِلَى غَيْرِهِ (1).

ومن هنا تبرز الوسطية الإسلامية لاعتماد نظام الحكم في الإسلام على الشورى وأعضاء مجلس الشورى يكونون من عدول أهل العلم، ويفصل في الشورى بالدليل والبرهان والإقناع فيما لا يخالف نصوص القرآن والسنة، بخلاف الأنظمة الوضعية الديمقراطية والدكتاتورية، ونستطيع أيضاً أن نقول: إن النظام الديمقراطي يقوم في الأصل على الشورى والتعاون، ولكنه انتهى بسوء التطبيق إلى تسليط المحكومين على الحاكمين، وانعدام التعاون بينهما، وإن النظام الديكتاتوري يقوم في الأصل على السمع والطاعة والثقة بين الحاكمين والمحكومين، ولكنه انتهى بسوء التطبيق إلى تسليط الحاكمين على المحكومين وانعدام الثقة بينهما، أما النظام الإسلامي فيقوم على الشورى والتعاون في مرحلة الاستشارة، وعلى السمع والطاعة والثقة في مرحلة التنفيذ، ولا تسمح قواعده بتسليط فريق على فريق، وبهذا جمع النظام الإسلامي بين ما ينسب إلى الديمقراطية من فضائل، وما ينسب إلى الديكتاتورية من مزايا ومحاسن، ثم هو في الوقت نفسه بريئ من العيوب التي تنسب للديمقراطية والديكتاتورية معاً (2).

القاعدة الثانية: السمع والطاعة والتقيد بالأنظمة والقوانين: فقد أوجب الله تعالى ورسوله: طاعة ولي الأمر فقَالَ تَعَالَى: ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ أَطِيعُواْ ٱللَّهَ وَأَطِيعُواْ ٱلرَّسُولَ وَأُوْلِي ٱلۡأَمۡرِ مِنكُمۡ ﴾ فقرن طاعة ولي الأمر بطاعته وطاعة رسوله، وأطلق الأمر بطاعتهم ولم يستثن منه شيئاً إلا المعصية ، قَالَ النَّبِيِّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «السَّمْعُ وَالطَّاعَةُ عَلَى

(1) أخرجه البخاري في صحيحه، كتاب الاعتصام بالكتاب والسنة ،باب قول الله تعالى: ﴿ وَأَمۡرُهُمۡ شُورَىٰ بَيۡنَهُمۡ ﴾ [الشورى: 38] ، 9 / 112-113(7370).

(2) التشريع الجنائي الإسلامي مقارنا بالقانون الوضعي، عبد القادر عودة، دار الكاتب العربي، بيروت، بدون طبعة، بدون تاريخ، 1 / 41.

الْمَرْءِ الْمُسْلِمِ فِيمَا أَحَبَّ وَكَرِهَ، مَا لَمْ يُؤْمَرْ بِمَعْصِيَةٍ، فَإِذَا أُمِرَ بِمَعْصِيَةٍ فَلاَ سَمْعَ وَلاَ طَاعَةَ.[1] ليس المراد بما ورد في هذا الحديث عدم الطاعة مطلقاً إنما في المعصية فقط، بذلك تكون طاعته واجبةً في سائر الأحكام التي لا معصية فيها بل تجب مخالفته في المعصية.[2] فيجب طاعة ولي الأمر وعدم مفارقة الجماعة، ولا ننزع يداً من طاعة، ونتبع السنة والجماعة، ونجتنب الشذوذ والخلاف والفرقة. وإن بلغوا في العسف والجور إلى ضرب الرعية وأخذ أموالهم فطاعة الأمراء واجبة [3]، والدليل على ذلك قَولَ النَّبِيِّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «تَسْمَعُ وَتُطِيعُ لِلْأَمِيرِ، وَإِنْ ضُرِبَ ظَهْرُكَ، وَأُخِذَ مَالُكَ، فَاسْمَعْ وَأَطِعْ». [4] فيكون هذا مخصصاً لعموم قوله تعالى: ﴿ فَمَنِ ٱعْتَدَىٰ عَلَيْكُمْ فَٱعْتَدُواْ عَلَيْهِ بِمِثْلِ مَا ٱعْتَدَىٰ عَلَيْكُمْ ﴾ [5].

وقد أجمع الفقهاء على وجوب طاعة السلطان ولو جار، وأن طاعته خير من الخروج عليه لما في ذلك من حقن الدماء وتسكين للدهماء، ولم يستثنوا من ذلك إلا إذا وقع من السلطان الكفر الصريح فلا تجوز طاعته في ذلك بل تجب مجاهدته لمن قدر عليها كما في الحديث، عن عبادة «أَنْ بَايَعَنَا عَلَى السَّمْعِ وَالطَّاعَةِ، فِي مَنْشَطِنَا وَمَكْرَهِنَا، وَعُسْرِنَا وَيُسْرِنَا وَأَثَرَةً عَلَيْنَا، وَأَنْ لاَ نُنَازِعَ الأَمْرَ أَهْلَهُ، إِلَّا أَنْ تَرَوْا كُفْراً بَوَاحاً،

(1) أخرجه البخاري في صحيحه، كتاب الأحكام، باب السمع والطاعة للإمام ما لم تكن معصية، 9/ 63(7144).

(2) تهذيب الرياسة وترتيب السياسة ، أبو عبد الله محمد بن علي بن الحسن القَلْعي الشافعي، المحقق: إبراهيم يوسف مصطفى عجو، مكتبة المنار – الأردن الزرقاء، ط: الأولى، ص: 113-114.

(3) نيل الأوطار، محمد بن علي بن محمد بن عبد الله الشوكاني اليمني ، تحقيق: عصام الدين الصبابطي، دار الحديث، مصر، ط الأولى، 1413هـ - 1993م، 207/7.

(4) أخرجه مسلم في صحيحه، كتاب الإمارة، باب الأمر بلزوم الجماعة عند ظهور الفتن وتحذير الدعاة إلى الكفر،3 / 1476(1847).

(5) سورة البقرة: 194.

عِنْدَكُمْ مِنَ اللَّهِ فِيهِ بُرْهَانٌ» (كفراً) منكراً محققا تعلمونه من قواعد الإسلام فتكون المنازعة بالإنكار عليهم. أو كفراً ظاهراً فينازعون بالقتال والخروج عليهم وخلعهم. (بواحاً) ظاهراً وبادياً. (برهان) نص آية أو خبر صحيح لا يحتمل التأويل [1].

القاعدة الثالثة: العدل والمساواة: أن العدل أشرف أوصاف الملك وأقوم لدولته لأنّه يبعث على الطاعة ويدعو إلى الألفة وبه تصلح الأعمال وتنمو الأموال وتنتعش الرعية وتكمل المزية وقد ندب الله عز وجل الخلق إليه وحثهم عليه.[2] في قَوْلِهِ تَعَالَى: ﴿ٱعۡدِلُواْ هُوَ أَقۡرَبُ لِلتَّقۡوَىٰ ﴾[3].

بمقارنة القوانين الإسلامية بالقوانين الوضعية، تظهر لنا وسطية ومحاسن الشريعة، وتفوقها على القوانين الوضعية، وسبقها إلى تقرير كل المبادئ الإنسانية، لأنها من صنع الله، وبينما الوضعية وهي من صنع البشر، وقد صيغت الشريعة بحيث لا يؤثر عليها مرور الزمن، ولا يقتضي تغيير قواعدها العامة ونظرياتها الأساسية، ومن ثم كانت نصوص الشريعة غير قابلة للتغيير والتبديل كما تتغير نصوص القوانين الوضعية وتتبدل،[4] فجاءت مراعيةً العدل والمصالح العامة لكل طبقات الأُمّة، بخلاف الوضعية التي تُراعي طبقة الحكام ومصالح من يضعونها، وتظهر وسطية الإسلام من خلال أن العدالة لا تقوم إلا بعد ترسيخ مفهوم المساواة بين الناس، لذا حط الإسلام من شأن العصبيات والعنصريات، ولا يفهم المساواة المطلقة فالعدالة توجب التسوية بينهم، بأن المساواة تعني

(1) أخرجه البخاري في صحيحه، كتاب الفتن، باب قول النبي صلى الله عليه وسلم: «سترون بعدي أمورا تنكرونها»47/9(7056).

(2) المنهج المسلوك في سياسة الملوك، عبد الرحمن بن نصر بن عبد الله، أبو النجيب، جلال الدين العدوي الشيزري الشافعي، المحقق: علي عبد الله الموسى، مكتبة المنار – الزرقاء، بدون طبعة، بدون تاريخ، ص: 242.

(3) سورة المائدة: 8.

(4) التشريع الجنائي الإسلامي مقارناً بالقانون الوضعي، مرجع سابق، 6/1.

تكافؤ الفرص مع اعتبار الجنس، وتوفير وسائل الكسب والفرص لكل فرد، مثل إعطاء الرجال حقوقهم والنساء حقوقهن، دون محاباة. فإنَ رَسُولِ اللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَالَ: " يَا أَيُّهَا النَّاسُ، أَلَا إِنَّ رَبَّكُمْ وَاحِدٌ، وَإِنَّ أَبَاكُمْ وَاحِدٌ، أَلَا لَا فَضْلَ لِعَرَبِيٍّ عَلَى عَجَمِيٍّ، وَلَا لِعَجَمِيٍّ عَلَى عَرَبِيٍّ، وَلَا أَحْمَرَ عَلَى أَسْوَدَ، وَلَا أَسْوَدَ عَلَى أَحْمَرَ، إِلَّا بِالتَّقْوَى" (1).

القاعدة الرابعة الحرية: هي من المبادئ الأساسية التي جاءت بها الشريعة الإسلامية، فقد أعلنت الشريعة الحرية وقررتها في أروع مظاهرها؛ فقررت حرية الدين والمعتقد وحرية التفكير والرأي وحرية السياسة.

حرية الدين والمعتقد: الشريعة الإسلامية، أول شريعة أباحت حرية الاعتقاد وعملت على صيانة هذه الحرية وحمايتها إلى آخر الحدود، فلكل إنسان أن يعتنق من العقائد ما شاء، وليس لأحد أن يحمله على ترك عقيدته أو اعتناق غيرها. لقوله تعالى: ﴿ لَآ إِكۡرَاهَ فِي ٱلدِّينِ ﴾(2). إلا أن عدم الالتزام بدين الإسلام له تبعاته كالجزية ثم القتال. ولذا وجب على أهل الكتاب الجزية، ولكنهم يقرون على دينهم، أمّا المشركين لا يقبل منهم إلا الإسلام (3).

حرية السياسة: أفراد الأمة الإسلامية مكلفون بالدعوة إلى الإصلاح والتذكير بالخير، الأمر بالمعروف والنهي عن الفساد لأولياء الأمور، ويطلب الإسلام من كل مسلم أن يكون له موقف ويكون له رأي، ليتمكن مجموع الأمة من القيام بأخطر مهمة تقوم عليها خيرية الأمة واستحقاقها للوجود وللفلاح، بينما تقع اللعنة على الأمة إن أهملتها،

(1) أخرجه أحمد في مسنده، حَدِيثُ رَجُلٍ مِنْ أَصْحَابِ النَّبِيِّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، 38 / 474(23489)، إسناده صحيح.

(2) سورة البقرة: 256.

(3) جامع البيان في تأويل القرآن، محمد بن جرير بن يزيد بن كثير بن غالب الآملي، أبو جعفر الطبري، المحقق: أحمد محمد شاكر،(5 / 412)، مؤسسة الرسالة، ط: الأولى، 1420 هـ - 2000 م.

ألا وهي الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر: ﴿ كُنتُمْ خَيْرَ أُمَّةٍ أُخْرِجَتْ لِلنَّاسِ تَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَتَنْهَوْنَ عَنِ الْمُنكَرِ وَتُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ ﴾[1]. وأَنَّ النَّبِيَّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، قَالَ: «الدِّينُ النَّصِيحَةُ» قُلْنَا: لِمَنْ؟ قَالَ: «لِلَّهِ وَلِكِتَابِهِ وَلِرَسُولِهِ وَلِأَئِمَّةِ الْمُسْلِمِينَ وَعَامَّتِهِمْ».[2] والنصيحة لأئمة المؤمنين أن يطيعهم في الحق وأن لا يرى الخروج عليهم بالسيف إذا جاروا، النصيحة كلمة يعبر بها عن جملة هي إرادة الخير للمنصوح له.[3] والمنهج النبوي يسهم في بناء الفكر الوسطي، لأنه يبيح الحرية لكن بقيودها المعتبرة شرعاً، وأن تكون سراً وبلطف، وأن لا تتخذ وسيلةً لتهييج العامة وإشعال الفتن والثورات.

حرية التفكير والرأي: جاءت الشريعة الإسلامية معلنةً حرية التفكير، محررةً للعقل من الأوهام والخرافات والتقاليد والعادات، داعيةً إلى نبذ كل ما لا يقبله العقل. فهي تحث على التفكير في كل شيء وعرضه على العقل، فكثيرٌ من الآيات تنتهي بقوله تعالى: ﴿ يَعْقِلُونَ ﴾ ،﴿ تَتَفَكَّرُونَ ﴾.[4] وتظهر وسطية الإسلام في أنه كفل حرية التفكير والرأي ووضع لها ضوابط شرعيةً، حتى لا تكون سبيلاً لتشكيك المسلمين في عقيدتهم الحقة، ونشر الفاحشة والشبهات.

المبحث الثاني: الأنظمة المخالفة للنظام السياسي الإسلامي

تعرض الإسلام لكثيرٍ من التحديّات – وما زال – وذلك بسبب الموجة المادية للعلوم الغربية، والتي دفعت جانباً من الجماهير إلى خارج دائرة الاعتزاز بالمنهج

(1) سورة آل عمران: 110.

(2) أخرجه مسلم في صحيحه، كتاب الإيمان، باب بيان أن الدين النصيحة،1 / 74(55).

(3) معالم السنن، وهو شرح سنن أبي داود، أبو سليمان حمد بن محمد بن إبراهيم بن الخطاب البستي المعروف بالخطابي، المطبعة العلمية – حلب، ط الأولى، 1351 هـ - 1932 م، 4/ 126.

(4) التشريع الجنائي الإسلامي مقارنا بالقانون الوضعي، مرجع سابق ، 1 / 29.

الإسلامي، بل وإلى الرغبة في اتخاذ المناهج الوضعية منهجاً وطريقاً للتقدم السياسي. وقد نشأ عن ذلك. أن المنهج الإسلامي في القرن العشرين بدأ يتعرض للمزاحمة من الأنظمة المخالفة للنظام السياسي الإسلامي التي نشأت ، مثل العلمانية والليبرالية و الديمقراطية.

وشاء اللهُ أن يقوى في كثير من البلاد الإسلامية الانتماءُ إلى الإسلام، انتماءً يقطع الطريق على محاولة استبعاد الخيار الحضاري الإسلامي، وإخلاء الطريق أمام المنهج الوضعي الذي عانت المجتمعاتُ الإسلامية من الاعتماد عليه عشرات السنين، وأن يجذب جموعاً كبيرة من المسلمين التي ظل الخيارُ الإسلامي بالنسبة لها، هو الخيارَ الوحيد الذي ينبغي أن يسود فكريّاً وثقافيّاً، والذي يتعينُ العمل من أجل إقامته سياسيّاً واقتصاديّاً واجتماعيّاً [1].

العلمانية: هي فصل الدين عن الدولة، ثم تطور هذا المفهوم فيما بعد، وأصبحت تعني البعد عن الدين واعتباره علاقةً روحيةً محصورةً في المسجد أو الكنيسة، ولا علاقة له بشؤون الحياة العامة والخاصة. هذا مفهوم لا ينطبق على الإسلام؛ لأنّ الإسلام هو عقيدة، وشريعة دين ودولة، حيث وضع نظاماً كاملاً لكل شأن من شئون الحياة. قال تعالى: ﴿ وَنَزَّلْنَا عَلَيْكَ ٱلْكِتَٰبَ تِبْيَٰنًا لِّكُلِّ شَىْءٍ وَهُدًى وَرَحْمَةً وَبُشْرَىٰ لِلْمُسْلِمِينَ ﴾ [2].

إن من أنكر النظام السياسي الإسلامي جملةً، وحاول أن يثبت أن الدين الإسلامي فقط ينظم العلاقة بين الإنسان وربه، ولا علاقة له بالحكم والسياسة، استدل بحديث تأبير النخل، وفيه قَالَ رَسُولُ اللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «أَنْتُمْ أَعْلَمُ بِأَمْرِ

(1) مسؤولية الدول الإسلامية عن الدعوة، عبد الله بن عبد المحسن التركي، مركز البحوث والدراسات الإسلامية، ط: الأولى، 141هـ ، 69/1.

(2) سورة النحل:89.

دُنْيَاكُمْ».[1] الحديث يتناول أمور الزراعة ، هي ليست من أمور الدين، وإنما كان اجتهادا منه صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ. أما نظام الحكم وقواعده فأنزله الله على رسوله وأمره بتطبيقه.

وغض الطرف عن كثير من النصوص التي تبين أن رَسُولُ اللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ كان حاكماً سياسياً، كحديث أَنَسٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، أَنَّ يَهُودِيًّا قَتَلَ جَارِيَةً عَلَى أَوْضَاحٍ[2] لَهَا، فَقَتَلَهَا بِحَجَرٍ، فَجِيءَ بِهَا إِلَى النَّبِيِّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وَبِهَا رَمَقٌ، فَقَالَ: «أَقَتَلَكِ فُلاَنٌ؟» فَأَشَارَتْ بِرَأْسِهَا: أَنْ لاَ، ثُمَّ قَالَ الثَّانِيَةَ، فَأَشَارَتْ بِرَأْسِهَا: أَنْ لاَ، ثُمَّ سَأَلَهَا الثَّالِثَةَ، فَأَشَارَتْ بِرَأْسِهَا: أَنْ نَعَمْ، فَقَتَلَهُ النَّبِيُّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ بِحَجَرَيْنِ[3].

الليبرالية: مصطلح أجنبي معرب و معناه الحرية. هي مذهب سياسي فلسفي يقرر أن وحدة الدين ليست ضروريةً للتنظيم الاجتماعي الصالح. وتركز على الحرية الفردية أي أن الفرد يعمل ما يشاء[4]، إن الحرية التي تمنحها الليبرالية هي حرية الحيوان لا حرية الإنسان ، فما الإنسان بغير عقيدة، وبغير أخلاق؟ فأما بغير عقيدة فقد قال عنهم الخالق تبارك اسمه: ﴿ لَهُمْ قُلُوبٌ لَّا يَفْقَهُونَ بِهَا وَلَهُمْ أَعْيُنٌ لَّا يُبْصِرُونَ بِهَا وَلَهُمْ ءَاذَانٌ لَّا يَسْمَعُونَ بِهَآ ۚ أُوْلَٰٓئِكَ كَٱلْأَنْعَٰمِ بَلْ هُمْ أَضَلُّ ۚ أُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْغَٰفِلُونَ ﴾ [5].

(1) أخرجه مسلم في صحيحه، كتاب الفضائل، باب وجوب امتثال ما قاله شرعا، دون ما ذكره صلى الله عليه وسلم من معايش الدنيا، على سبيل الرأي، 4/ 1836 (2363).

(2) الأوضاح: الْحُلِيّ من الْفضة، وَاحِدهَا وضح. والحلي: مَا يتحلى بِهِ: أَي يتزين. أنظر كشف المشكل من حديث الصحيحين، جمال الدين أبو الفرج عبد الرحمن بن علي بن محمد الجوزي ، المحقق: علي حسين البواب،(3 / 198) ، دار الوطن – الرياض.

(3) أخرجه البخاري في صحيحه، كتاب الديات، باب من أقاد بالحجر، 9 / 5 (6879).

(4) مذاهب فكرية معاصرة، محمد بن قطب بن إبراهيم، 201، دار الشروق، ط: الأولى 1403هـ-1983م.

(5) سورة الأعراف: 179.

وأمّا بغير أخلاق ولا قيم خلقية، فالحيوان وحده هو الذي يعيش بغير قيم خلقية؛ لأنّه ليس له إلا طريق واحد لا اختيار له فيه، فلا يوصف عمله بأنّه أخلاقي أو غير أخلاقي، إنما يوصف بأنّه عمل غريزي ، فإذا أكلت القطة الفأر أو أتى الكلب أنثاه في الطريق فلا أحد يقول إن هذه أعمال غير أخلاقية! كالإنسان الذي كرمه ربه بالإنسانية وجعل له طريقين اثنين لا طريقاً واحداً، وأعطاه القدرة على التمييز بين الطريقين واختيار واحد[1] منهما: ﴿ وَنَفْسٍ وَمَا سَوَّىٰهَا ﴿٧﴾ فَأَلْهَمَهَا فُجُورَهَا وَتَقْوَىٰهَا ﴿٨﴾ قَدْ أَفْلَحَ مَن زَكَّىٰهَا ﴿٩﴾ وَقَدْ خَابَ مَن دَسَّىٰهَا ﴾[2] .

وقد تسللت الليبرالية إلى البلاد الإسلامية، وهنالك عوامل أضعفت ثقة الأمة بدينها، وهيأت المجتمع الإسلامي لتقبل الليبرالية ، وهذه العوامل هي: الانحراف العقدي، والاستبداد السياسي، والجمود والتقليد، وهي ليست أسباباً مباشرةً في وجود الليبرالية، ولكن السبب المباشر لدخولها في العالم الإسلامي هو" الاستعمار وأذنابه ". ويجمع هذه العوامل " الانحراف " وقد تم هذا الانحراف على يد الفرق الضالة كالمرجئة ودعاة المذهبية، فهذه الانحرافات ساعدت على وجود الفكر الليبرالي عندما قدم مع الاستعمار وقد استغل المستعمرون هذه الانحرافات أبشع استغلال، ووظفوها في خدمة أهدافهم[3].

الديمقراطية: كلمة يونانية في أصلها ومعناها سلطة الشعب والمقصود بها بزعمهم حكم الشعب نفسه بنفسه عن طريق اختيار الشعب لحكامه وهي الكذبة التي كان يرددها النظام الشيوعي. فقد ظهر أن بعض المنخدعين بها قد تصور أنه لا فرق بين الديمقراطية

(1) مذاهب فكرية معاصرة مرجع سابق (ص: 217) .

(2) سورة الشمس: 7-10.

(3) موسوعة المذاهب الفكرية المعاصرة، إعداد: مجموعة من الباحثين بإشراف الشيخ عَلوي بن عبد القادر السقاف، الناشر: موقع الدرر السنية على الإنترنت dorar.net.

وبين الإسلام بل ويزعم أن مبادئ الديمقراطية هي نفس المبادئ التي دعا إليها الإسلام[1].

وعلاقة المسلم بهذا النظام هي علاقة البراء وليس الولاء[2]. أن أصول الديمقراطية وجذورها إنما هي أصول وجذور إلحادية كفرية، ليس في الديمقراطية خير تحتاج إليه خير أُمّة أخرجت للناس. والمعلوم أن ديننا لم يتركً باباً من أبواب الخير إلا ودلنا عليه، ولم يترك باباً من أبواب الشر إلا وحذرنا منه. كما قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: (إِنَّهُ لَمْ يَكُنْ نَبِيٌّ قَبْلِي إِلَّا كَانَ حَقًّا عَلَيْهِ أَنْ يَدُلَّ أُمَّتَهُ عَلَى خَيْرِ مَا يَعْلَمُهُ لَهُمْ، وَيُنْذِرَهُمْ شَرَّ مَا يَعْلَمُهُ لَهُم).[3] لقد بلغ من عناية الدين بالمسلمين أن علمهم كل شيء حتى أدب قضاء الحاجة، فهل يمكن أن تكون الهداية في مجال النظام السياسي غير كاملة حتى نحتاج إلى غيرنا؟

من عوائق تطور الفكر السياسي لدى المسلمين، الاستبداد السياسي الذي لم يدع مجالاً لرأي معارض، أو فكر محايد، أو قول صريح، أو موقف غير مؤيد. فأدى ذلك إلى أن صار الأصل لدى المسلمين هو حماية السلطان. ومن أجل قمع معارضيه، فكانت الدعوة لتطبيق الديمقراطية. والاستبداد أيضا أدى إلى ظهور تيارين فكريين فقط: تيار سلطوي ينتقي من النصوص وأماراتها ما يلوي به عنق الشريعة ليبرر

(1) المذاهب الفكرية المعاصرة ودورها في المجتمعات وموقف المسلم منها، المؤلف: د. غالب بن علي عواجي،(2 / 761)، المكتبة العصرية الذهبية–جدة، ط: الأولى 1427هـ-2006م.

(2) الولاء في الشرع: هو النصرة، والمحبة، والإكرام، فهو يعني التقرب وإظهار الود بالأقوال والأفعال والنوايا لله ورسوله والمؤمنين.البراء في الشرع: هو البعد، والعداوة بعد الأعذار والإنذار؛ فهو يعني بغض أعداء الله تعالى، ومعاداتهم، ومجافاتهم. انظر: الولاء والبراء في الإسلام من مفاهيم عقيدة السلف، محمد بن سعيد بن سالم القحطاني، دار طيبة، الرياض – المملكة العربية السعودية ، ط: الأولى، ص92.

(3) أخرجه مسلم في صحيحه، كتاب الإمارة، باب الأمر بالوفاء ببيعة الخلفاء، الأول فالأول 3 / 1472 (1844).

تصرفات الحكام الضالة. وتيار معارض مقموع ألجأه الإرهاب إلى التوتر والعمل تحت الأرض، والمصلحة النضالية المرسلة. وكلا التيارين لا يختلف رأيهما في موضوع الشورى الذي هو جوهر الحكم في الإسلام. إذ الشورى لدى التيار السلطوي محتكرة بيد السلطان، ولدى التيار المعارض محتكرة بيد القيادة، وعند الجانبين معاً غير ملزمة. لذلك لم تتح فرصة لنشوء تيار ثالث موضوعي، حر ومستقل، إلا من أحكام الشرع الحقيقية التي تجعل الشورى أمراً للمسلمين كافة، وقراراتها ملزمة للجهاز التنفيذي إلزاماً تاماً [1].

(1) تحفة الترك فيما يجب أن يعمل في الملك، إبراهيم بن علي بن أحمد بن عبد الواحد ابن عبد المنعم الطرسوسي، نجم الدين الحنفي، المحقق: عبد الكريم محمد مطيع الحمداوي، ط الثانية، بدون تاريخ، ص25/1.

الفصل الثالث

الأحاديث النبوية في بناء الفكر الوسطي في المجتمع

المبحث الأول: أهم المشكلات الاجتماعية وسبل الوقاية منها وعلاجها

انحراف الشباب: لا يخفى أن الشباب الصالح هم مصدر قوة للمجتمعات وعليهم تعقد الآمال وبإراداتهم الجادة وسواعدهم المنتجة تتحقق الطموحات السامية. أما إذا فسد الشباب أصبحوا سبباً لفساد أنفسهم ومجتمعهم وتحطيم آمالهم وآمال المجتمع بهم.

أهم أنواع انحراف الشباب:

أولاً الانحراف الفكري: يعتبر الانحراف الفكري من أخطر أنواع الانحراف وذلك لأن الشباب يعتنقون أفكاراً سلبية تهدم معالم الدين مثل العلمانية. وقد أراد النَّبِيّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أن يحقق الأمن الثقافي للمجتمع المسلم ، حمايته من الانحراف الفكري والغلو في الدين، الشاهد على ذلك قول: أَنَسَ بْنَ مَالِكٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، جَاءَ ثَلاَثَةُ رَهْطٍ إِلَى بُيُوتِ أَزْوَاجِ النَّبِيِّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، يَسْأَلُونَ عَنْ عِبَادَةِ النَّبِيِّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، فَلَمَّا أُخْبِرُوا كَأَنَّهُمْ تَقَالُّوهَا، فَقَالُوا: وَأَيْنَ نَحْنُ مِنَ النَّبِيِّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ؟ قَدْ غُفِرَ لَهُ مَا تَقَدَّمَ مِنْ ذَنْبِهِ وَمَا تَأَخَّرَ، قَالَ أَحَدُهُمْ: أَمَّا أَنَا فَإِنِّي أُصَلِّي اللَّيْلَ أَبَدًا، وَقَالَ آخَرُ: أَنَا أَصُومُ الدَّهْرَ وَلاَ أُفْطِرُ، وَقَالَ آخَرُ: أَنَا أَعْتَزِلُ النِّسَاءَ فَلاَ أَتَزَوَّجُ أَبَدًا، فَجَاءَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ إِلَيْهِمْ، فَقَالَ: «أَنْتُمُ الَّذِينَ قُلْتُمْ كَذَا وَكَذَا، أَمَا وَاللَّهِ إِنِّي لَأَخْشَاكُمْ لِلَّهِ وَأَتْقَاكُمْ لَهُ، لَكِنِّي أَصُومُ وَأُفْطِرُ، وَأُصَلِّي وَأَرْقُدُ، وَأَتَزَوَّجُ النِّسَاءَ، فَمَنْ رَغِبَ عَنْ سُنَّتِي فَلَيْسَ مِنِّي».[1] ولمح النَّبِيّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ بذلك إلى طريق الرهبانية فإنهم الذين ابتدعوا التشديد كما وصفهم الله تعالى وقد عابهم بأنهم ما وفو بما التمزموه،وبين الاعتدال والوسطية في الإسلام.[2]

(1) أخرجه البخاري في صحيحه، كتاب النكاح، باب الترغيب في النكاح، 2/7 (5063).

(2) فتح الباري شرح صحيح البخاري، أحمد بن علي بن حجر أبو الفضل العسقلاني الشافعي، دار المعرفة –

=

ثانياً: الانحراف السلوكي الأخلاقي كمظاهر التبرج والاختلاط وتبادل النظرات والمحادثات المحرمة بين الشباب والفتيات. وسببه الجهل والتقليد الأعمى، فأصبح من المعتاد أن يجد المسلم المرأة المسلمة، متبذلة، خارجة في زينتها. وتجد المرأة من مفاخرها ومن مظاهر رقيها أن ترتاد أماكن الفجور والفسق والمراقص والملاهي. وأصبح من المألوف أن تعقد مسابقات الجمال تبرز فيها المرأة أمام الرجل. وكان من نتائج هذا الانحراف أن كثر الفسق، وانتشر الزنا، وانهدم كيان الأسرة، وأهملت الواجبات الدينية.[1] وأنكر النَّبِيّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ هذا السلوك وفي حديث ابْنِ عُمَرَ –رضي الله عنهما– قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: "مَنْ تَشَبَّهَ بِقَوْمٍ فَهُوَ مِنْهُمْ"[2].والمنهج النبوي أمر بالتوسط في معاملة الكفار فلم يمنعنا ديننا الحنيف من الاستفادة من تجاربهم وعلومهم النافعة التي تتفق مع تعاليم ديننا، إنما النهى في الحديث يقصد به الجانب الأخلاقي .

ضعف صلة كثير من الشباب بعلماء الإسلام: من أخطر المشكلات الاجتماعية أثراً، ابتعاد كثير من الشباب عن علماء الدين وضعف الصلة بمجالسهم. ظناً منهم أنهم قادرون بأنفسهم على تكوين مشاعر إيمانيه، وأخلاق دينيه، وثقافة إسلاميه كافيه من

بيروت، بدون ط،1379، رقم كتبه وأبوابه وأحاديثه: محمد فؤاد عبد الباقي، قام بإخراجه وصححه وأشرف على طبعه: محب الدين الخطيب، عليه تعليقات العلامة: عبد العزيز بن عبد الله بن باز.، 9 / 105.

(1) فقه السنة، سيد سابق، دار الكتاب العربي، بيروت – لبنان، ط: الثالثة، 1397 هـ - 1977 م، 2 / 213.

(2) أخرجه أبو داود في سننه، كتاب اللباس– باب في لبس الشهرة، 44/4 (4031)؛ وابن أبي شيبة في مصنفه، 6/ 471 (33016). قال ابن حجر: وقد ورد حديث ابن عمر رفعه من تشبه بقوم فهو منهم، قلت: أخرجه أبو داود بسند حسن. وقال الصنعاني: "(وعن ابن عمر –رضي الله عنهما– قال: قال رسول الله – صلى الله عليه وسلم–: "من تشبه بقوم فهو منهم" أخرجه أبو داود وصححه ابن حبان) الحديث فيه ضعف وله شواهد عند جماعة من أئمة الحديث عن جماعة من الصحابة تخرجه عن الضعف". فتح الباري، 270/10-271.

الكتب التي تقع عليها أيديهم، أو من وسائل الإعلام. والعلماء هم ورثة الأنبياء وأن صحبتهم من أقوى العوامل في إصلاح الفرد المسلم، وتطبيع أخلاقه على الاعتدال من غير إفراط ولا تفريط، وإعداده روحياً. عَنْ جَرِيرٍ أَنَّ النَّبِيَّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَالَ لَهُ فِي حَجَّةِ الوَدَاعِ: "اسْتَنْصِتِ النَّاسَ" فَقَالَ: "لَا تَرْجِعُوا بَعْدِي كُفَّاراً، يَضْرِبُ بَعْضُكُمْ رِقَابَ بَعْضٍ"[1].(استنصت الناس) اطلب منهم أن يسكتوا ويستمعوا لما أقوله لهم وفي الحديث: طلب الإنصات لسماع العلم.

فشو الفواحش الأخلاقية: منها الزنا وهو حرام ومن كبائر الذنوب والدليل: قال الله تعالى :﴿ وَلَا تَقْرَبُواْ ٱلزِّنَىٰٓ إِنَّهُۥ كَانَ فَٰحِشَةً وَسَآءَ سَبِيلًا ﴾ [2] وقَالَ النَّبِيُّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «لاَ يَزْنِي الزَّانِي حِينَ يَزْنِي وَهُوَ مُؤْمِنٌ»[3] (حين يزني) يقدم على الزنا ويباشره. (وهو مؤمن) ونور الإيمان في قلبه بل ينزع منه فإذا استمر على الفعل أو استحله زال إيمانه وكفر.

الحكمة من تحريم الزنا : أجمعت الشرائع السماوية على تحريم الزنا، واعتبرته من أكبر الآثام، وأعظم الجرائم التي تدنس النفس البشرية، وتحول بينها وبين سعادتها وكمالها، ووضعت له أقصى عقوبة في باب العقوبات وأشنعها، وتتجلى وسطية الإسلام لاختيارها العقوبة المناسبة والأفضل للأفراد وللمجتمع لأنه يسبب أمراضاً فتاكةً, ويفسد نظام البيت ويقطع العلاقة بين الزوجين, ومما يكون سبباً في العزوف عن الزواج الشرعي.

اللواط : حكمه حرام ومن كبائر الذنوب. ودليله من الكتاب قوله تعالى﴿ وَلُوطًا إِذْ قَالَ لِقَوْمِهِۦٓ أَتَأْتُونَ ٱلْفَٰحِشَةَ مَا سَبَقَكُم بِهَا مِنْ أَحَدٍ مِّنَ ٱلْعَٰلَمِينَ ﴿٨٠﴾ إِنَّكُمْ لَتَأْتُونَ ٱلرِّجَالَ شَهْوَةً مِّن دُونِ

(1) أخرجه البخاري صحيحه، كتاب العلم، باب الإِنْصَاتِ لِلْعُلَمَاءِ، 35/1(121).

(2) سورة الإسراء:32.

(3) أخرجه البخاري في صحيحه، كتاب الحدود، باب النهبى بغير إذن صاحبه،3 / 136(2475).

ٱلنِّسَآءِۚ بَلۡ أَنتُمۡ قَوۡمٞ مُّسۡرِفُونَ ﴾.[1] ومن السنة: حَدَّثَنَا عَبْدُ اللَّهِ بْنُ مُحَمَّدِ بْنِ عَلِيٍّ النُّفَيْلِيُّ، حَدَّثَنَا عَبْدُ الْعَزِيزِ بْنُ مُحَمَّدٍ، عَنْ عَمْرِو بْنِ أَبِي عَمْرٍو، عَنْ عِكْرِمَةَ، عَنِ ابْنِ عَبَّاسٍ، قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «مَنْ وَجَدْتُمُوهُ يَعْمَلُ عَمَلَ قَوْمِ لُوطٍ، فَاقْتُلُوا الْفَاعِلَ، وَالْمَفْعُولَ بِهِ».[2]

الحكمة من تحريم اللواط : حُرم اللواط لأنه من أكبر الفواحش التي تسبب فساد الدين والخلق والفطرة والأسرة بل والحياة نفسها. ولهذا كان عقاب مرتكبيها مناسبا لبشاعة فعلهم فخسف الله الأرض بقوم لوط وأمطر عليهم الحجارة، يسبب هذا الفعل انصراف الرجل عن المرأة، ويسبب لفاعله أمراضاً فتاكة، اللواط لوثة أخلاقية ومرض نفسي وفساد للطباع فصاحبه لا يميز بين الفضيلة والرذيلة وهو عديم الوجدان ميت الضمير لا يتحرج من ارتكاب الجرائم. فلذلك كان التفريط في الخلق يقتضي من الإنسان أن

(1) سورة الأعراف:80-81.

(2) أخرجه أبو داود في سننه، كتاب الحدود، باب فيمن عَمِلَ عَمَلَ قوم لوط، 4 / 158(4462). عبد الله بن محمد بن علي بن نفيل بنون وفاء مصغر أبو جعفر النفيلي الحراني ثقة حافظ من كبار العاشرة مات سنة أربع وثلاثين خ 4، أنظر تقريب التهذيب مرجع سابق(ص: 321) . وعبد العزيز بن محمد ابن عبيد الدراوردي أبو محمد الجهني مولاهم المدني صدوق كان يحدث من كتب غيره فيخطى قال النسائي حديثه عن عبيد الله العمري منكر من الثامنة مات سنة ست أو سبع وثمانين ع. انظر تقريب التهذيب مرجع سابق(ص: 358) . وعمرو بن أبي عمرو ميسرة مولى المطلب المدني أبو عثمان ثقة ربما وهم من الخامسة مات بعد الخمسين ع. انظر تقريب التهذيب مرجع سابق(ص: 425). وعكرمة أبو عبد الله مولى ابن عباس أصله بربري ثقة ثبت عالم بالتفسير لم يثبت تكذيبه عن ابن عمر ولا تثبت عنه بدعة من الثالثة مات سنة أربع ومائة وقيل بعد ذلك ع. انظر تقريب التهذيب مرجع سابق(ص: 397).الإسناد حسن فيه عبد العزيز بن محمد بن عبيد صدوق.

يكون كالبهائم التي لا خير فيها، فلابد أن يمتنع الإنسان عنه وأن يهذب نفسه وأن يزكيها وأن يتبع المنهج الصحيح الإسلامي في الأخلاق.

المبحث الثاني: أهمية الأسرة ومكانتها في الإسلام

أهمية الأسرة وتكونها من خلال الزواج الشرعي دون غيره. والأسرة هي الطريق الوحيد لإنجاب الأولاد الشرعيين، وتربيتهم. فإنه لما كان وجود الجنسين وحاجة كل منهما إلى الآخر سنة الحياة، التي أرادها الله، وأودع في كل منهما هذه الغريزة التي تدعوه إلى الآخر. ليتحقق بذلك بقاء النوع البشري على هذه الأرض. شرع له النكاح للتنفيس عن غريزته بطريقة سليمة يتسامى فيها عن غيره من الحيوانات. أو يكبتها كما هو الشأن في مذاهب التقشف والحرمان كالرهبانية ونحوها.. في هذا الموقف وأد للغريزة ومنافاة لحكمة من خلقها في الإنسان وفطره عليها ومصادمة لسنة الحياة التي تستخدم هذه الغرائز لتستمر في سيرها، وحقق الشرع بالنكاح منافع عظيمة، منها غض البصر، وكف النفس عن جريمة الزنا محافظة "على أنساب الناس، وصيانة لأعراضهم ومنها: استبقاء النوع البشري على هذه الأرض بالتوالد والتناسل فينتج جيلاً صالحاً نافعاً لبلاده وأمته، ومنها تنظيم الأسرة وصيانتها، حيث جعل العلاقة بين الرجل والمرأة علاقة صحيحة قائمة على نكاح شرعي موثق بشهادة الشهود، معلن عنه عند الناس فكل منهما قد أصبح زوجاً للآخر، وارتبط به[1]، وهذا الموقف هو العدل والوسط فلولا تشريع الزواج ما أدت الغريزة دورها في استمرار بقاء الإنسان بالطريقة الشرعية ولولا تحريم السفاح وإيجاب اختصاص الرجل بامرأة ما نشأت الأسرة التي ظلالها العواطف الاجتماعية الراقية من مودة وإيثار ولولا الأسرة ما نشأ المجتمع ولا أخذ طريقة إلى

(1) منار القاري شرح مختصر صحيح البخاري، المؤلف: حمزة محمد قاسم، راجعه: الشيخ عبد القادر الأرناؤوط، عني بتصحيحه ونشره: بشير محمد عيون، (5 / 90)، مكتبة دار البيان، دمشق – الجمهورية العربية السورية، مكتبة المؤيد، الطائف – المملكة العربية السعودية، 1410 هـ – 1990 م.

الرقي. وجاءت السنة النبوية ترغب في الزواج وتحث عليه عَنْ عَبْدِ اللهِ بْن مَسْعُود رَضِيَ اللهُ عَنْهُ قَالَ : لَقَدْ قَالَ لَنَا النَّبِيُّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «يَا مَعْشَرَ الشَّبَابِ مَنِ اسْتَطَاعَ مِنْكُمُ البَاءَةَ فَلْيَتَزَوَّجْ، وَمَنْ لَمْ يَسْتَطِعْ فَعَلَيْهِ بِالصَّوْمِ فَإِنَّهُ لَهُ وِجَاءٌ» (1).

لقد حفظ الإسلام للأسرة مقومات البقاء والمودة والرعاية ، وعني بوقايتها من التفكك بمختلف السبل التي من بينها:

قرار النساء في البيوت : إن الله تعالى قد جعل لكل واحدٍ من الجنسين ما يناسب فطرته وتكوينه من المهام والمسؤوليات:

فالرجل مسؤوليته تتمثل في الضرب في الأرض، لكسب الرزق الحلال، لينفقه على نفسه، وعلى من وجبت عليه نفقته من الزوجة والأولاد وغيرهم.والمرأة فمسؤوليتها الرئيسية تتمثل في رعاية شؤون البيت، والمحافظة على الأولاد، وتهيئة البيت من جميع الجوانب، ليجد فيه الرجل عند عودته الراحة والطمأنينة والسعادة.خروج المرأة من بيتها بلا حاجة: تعريضٌ لها للفتنة.وإخلالٌ واضح بالمسؤولية الملقاة على عاتقها. فقد أمر تعالى النساء بالقرار في البيوت ، فقال: ﴿ وَقَرْنَ فِي بُيُوتِكُنَّ وَلَا تَبَرَّجْنَ تَبَرُّجَ ٱلْجَٰهِلِيَّةِ ٱلْأُولَىٰ ﴾(2).

فنجد بعض الناس يتشدد ويمنع المرأة من الخروج، وهذا الإفراط وفي المقابل التفريط، كالاختلاط المحرم والخلوة المحرمة وكل ذلك مما حرمه الله الشرع الحنيف.

ومن هنا تبرز الوسطية الإسلامية،فإنَّ لزوم النساء بيوتهن هو الأصل. والأمر بالاستقرار في البيوت لا ينافي الخروج لمصلحة مأمور بها، كما لو خرجت للحج والعمرة، أو خرجت مع زوجها في سفرة أو لزيارة والديها وأقاربها، أو مراجعة مستشفى،

(1) أخرجه البخاري في صحيحه، كتاب النكاح، باب قول النبي صلى الله عليه وسلم: «من استطاع منكم الباءة فليتزوج، لأنه أغض للبصر وأحصن للفرج» وهل يتزوج من لا أرب له في النكاح "، 7 / 3(5065).

(2) سورة الأحزاب: 33.

تحصيل علم تحتاج إليه، ونحو ذلك..[1] أن النبي صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ رخَّص لهن بالذهاب إلى المساجد لأداء الصلاة، إذ قال عليه الصلاة والسلام: «لاَ تَمْنَعُوا إِمَاءَ اللَّهِ مَسَاجِدَ اللَّهِ». [2] فلا تخرج المرأة من بيتها إلا برضا وليها، ملتزمةً بالحجاب الشرعي نابذةً للتبرج والسفور، ولا تخرج إلا لحاجة.ويروى عَنِ النَّبِيِّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قال: «إِذَا اسْتَأْذَنَتِ امْرَأَةُ أَحَدِكُمْ فَلاَ يَمْنَعْهَا» [3].

الغيرة على المحارم: الغيرة عامل من العوامل المهمة، في حماية الأسرة من الانحراف، وقد شهد النبي صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ لبعض أصحابه بشدة الغيرة، ومنهم سعد بن عبادة، وَقَالَ وَرَّادٌ: عَنِ المغِيرَةِ، قَالَ سَعْدُ بْنُ عُبَادَةَ: لَوْ رَأَيْتُ رَجُلًا مَعَ امْرَأَتِي لَضَرَبْتُهُ بِالسَّيْفِ غَيْرَ مُصْفَحٍ[4]، فَقَالَ النَّبِيُّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «أَتَعْجَبُونَ مِنْ غَيْرَةِ سَعْدٍ لَأَنَا أَغْيَرُ مِنْهُ، وَاللَّهُ أَغْيَرُ مِنِّي» [5].

ويجب على الزوج أن يصون زوجته، ويحفظها من كل ما يخدش شرفها، ويثلم عرضها، ويمتهن كرامتها، ويعرض سمعتها لقالة السوء، وهذا من الغيرة التي يحبها الله، وكما يجب على الرجل أن يغار على زوجته، فإنه يطلب منه أن يعتدل في هذه الغيرة، فلا يبالغ في إساءة الظن بها. ولا يسرف في تقصي كل حركاتها وسكناتها ولا يحصي

(1) منهاج السنة النبوية في نقض كلام الشيعة القدرية، تقي الدين أبو العباس أحمد بن عبد الحليم بن عبد السلام بن عبد الله بن أبي القاسم بن محمد بن تيمية الحراني الحنبلي الدمشقي ، المحقق: محمد رشاد سالم، جامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية، ط: الأولى، 1406 هـ - 1986 م ، 4 / 317.

(2) أخرجه البخاري في صحيحه، كتاب الحج، باب هل على من لم يشهد الجمعة غسل من النساء والصبيان وغيرهم؟2 / 6(900).

(3) أخرجه البخاري في صحيحه، كتاب الأذان، باب استئذان المرأة زوجها بالخروج إلى المسجد، 1 / 173(875).

(4) (غير مصفح) غير ضارب بعرضه بل بحده، أنظر صحيح البخاري ، مرجع سابق، 35/7.

(5) أخرجه البخاري في صحيحه، كتاب النكاح، باب الغيرة ،7 / 35(بدون رقم).

جميع عيوبها، فإن ذلك يفسد العلاقة الزوجية، ويقطع ما أمر الله به أن يوصل[1] أَنَّ نَبِيَّ اللَّهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ كَانَ يَقُولُ: «مِنَ الْغَيْرَةِ مَا يُحِبُّ اللَّهُ وَمِنْهَا مَا يُبْغِضُ اللَّهُ، فَأَمَّا الَّتِي يُحِبُّهَا اللَّهُ فَالْغَيْرَةُ فِي الرِّيبَةِ، وَأَمَّا الْغَيْرَةُ الَّتِي يُبْغِضُهَا اللَّهُ فَالْغَيْرَةُ فِي غَيْرِ رِيبَةٍ » [2].

عمل المرأة : إن الإسلام لا يمنع عمل المرأة من حيث المبدأ في المجالات التي تدعو الحاجة إليها. بشروط منها: الالتزام بالحجاب الشرعي، وموافقة الزوج أو ولي الأمر، وتجنب الاختلاط والخلوة، وأن لا يستغرق العمل جهدها ووقتها.

وقد حرص الإسلام أن يبعد المرأة عن جميع ما يخالف طبيعتها فمنعها تولي الأعمال التي لا تناسب طبيعتها، كالقضاء والولاية العامة، قَالَ: لَمَّا بَلَغَ رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أَنَّ أَهْلَ فَارِسَ، قَدْ مَلَّكُوا عَلَيْهِمْ بِنْتَ كِسْرَى، قَالَ: «لَنْ يُفْلِحَ قَوْمٌ وَلَّوْا أَمْرَهُمُ امْرَأَةً» [3] الإجماع قام على عدم جواز أن تتولى المرأة رئاسة الدولة، استناداً للحديث وطبيعة المرأة تؤيد هذا، فهي بحكم غريزة الأمومة فيها عاطفية سريعة التأثر، سهلة الانقياد، وبحكم ما يعتريها من الأمور الطبيعية الخاصة بالنساء، من الحيض، والحمل، والولادة على مر الشهور، والأعوام، أضعف من أن تصل إلى الرأي الصائب الذي يحتاج إلى الاجتهاد وإعمال الفكر وتدافع عنه، وتواجه المشاكل بقدم ثابتة وقلب جريء،فيقاس القضاء على رئاسة الدولة،بجامع أن كلاً منهما ولاية عامة[4].

(1) فقه السنة، مرجع سابق،2 / 187.

(2) أخرجه أبوداود في سننه، كتاب الجهاد، باب في الخيلاء في الحرب، 3 / 50(2659)، قَالَ الألباني : حسن

(3) أخرجه البخاري في صحيحه، كتاب المغازي، باب كتاب النبي صلى الله عليه وسلم إلى كسرى وقيصر، 6 / 8 (4425) ، عَنْ أَبِي بَكْرَةَ.

(4) النظام القضائي في الفقه الإسلامي، محمد رأفت عثمان، دار البيان، ط الثانية 1415هـ1994م. ص: 138.

الطلاق: شرع الله الطلاق تخفيفاً عن الأزواج، إذ ربما لا يطيب العيش لعدم تطابق الأخلاق والعادات، وجعل العقد مبرماً ليكون الفرق بين النكاح والسفاح، وجعله بيد الزوج؛ لأنّه رجل الحرب والمكلف بالإنفاق، ولكن أوصاه بها خيراً، وأوجب لها من الحقوق ما يكفل حرمتها، قال تعالى: ﴿ وَلَهُنَّ مِثْلُ ٱلَّذِى عَلَيْهِنَّ بِٱلْمَعْرُوفِ ۚ وَلِلرِّجَالِ عَلَيْهِنَّ دَرَجَةٌ ﴾ [1]، ثم جعل للزوج الرجعة لأمدٍ معين, وفي عددٍ معين من التطليق، إذ لعلَّ قلبه يبقى معلقاً بزوجته[2].

حُكمه : الأصل الإباحة: فمن أدلته قوله تعالى:﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّبِىُّ إِذَا طَلَّقْتُمُ ٱلنِّسَآءَ فَطَلِّقُوهُنَّ لِعِدَّتِهِنَّ وَأَحْصُوا۟ ٱلْعِدَّةَ ۖ وَٱتَّقُوا۟ ٱللَّهَ رَبَّكُمْ ۖ لَا تُخْرِجُوهُنَّ مِنۢ بُيُوتِهِنَّ وَلَا يَخْرُجْنَ إِلَّآ أَن يَأْتِينَ بِفَٰحِشَةٍ مُّبَيِّنَةٍ ۚ وَتِلْكَ حُدُودُ ٱللَّهِ ۚ وَمَن يَتَعَدَّ حُدُودَ ٱللَّهِ فَقَدْ ظَلَمَ نَفْسَهُۥ ۚ لَا تَدْرِى لَعَلَّ ٱللَّهَ يُحْدِثُ بَعْدَ ذَٰلِكَ أَمْرًا ﴾. [3] وقد يكون واجباً وهو طلاق الحكمين، والمولى. ومندوباً، وهو طلاق من خاف أن لا يقيم حدود الله في الزوجية، ومن رأى ريبة يخاف معها على الفرش، وحراماً: وهو البدعي، وطلاق من قسم لغيرها ولم يوفها حقها من القسم[4].

يتبين لنا مدى وسطية الإسلام في مشروعية الطلاق بأن جعل حكمه على حسب حالة الزوجين — واجب، مباح، مكروه، حرام- لم تكن الإباحة مطلقة، لا تحريم مطلق، إنما مشروعيته مقيدة برفع الضرر عن الزوجين.

---

(1) سورة البقرة: 228 .

(2) الفكر السامي في تاريخ الفقه الإسلامي، محمد بن الحسن بن العربيّ بن محمد الحجوي الثعالبي 185/1، دار الكتب العلمية –بيروت–لبنان، ط: الأولى – 1416هـ- 1995م.

(3) سورة الطلاق: 1.

(4) الأشباه والنظائر للسيوطي : الأشباه والنظائر، عبد الرحمن بن أبي بكر، جلال الدين السيوطي، دار الكتب العلمية ،ط: الأولى، 1411هـ – 1990م، ص: 417.

الفصل الرابع

الأحاديث النبويّة في بناء الفكر الوسطي في الاقتصاد

المبحث الأول: خصائص النظام الاقتصادي الإسلامي

قد يحتاج النظام الاقتصاديُّ الإسلاميُّ إلى حديث طويل, لتوضيح وسطيته من بين الأنظمةٍ المتعددةٍ؛ شرقية وغربية, لكن حسبنا في هذا المقام أن نرسم الخطوط العريضة ونكتفي بالحديث عن أمرين: خصائصه والملكية في الاقتصاد الإسلامي .

ومن خصائصه: النظام الاقتصادي الإسلامي جزء من نظام الإسلام: النظام الاقتصادي الإسلامي كغيره من النظم الإسلامية يقوم على أساس العقيدة الإسلامية، مراعاة الفطرة الإنسانية، الأخلاق الفاضلة، على خلاف الأنظمة الاقتصادية الوضعية التي فصلته تماماً عن الدين والأخلاق. الأمر الذي يجعل للنشاط الاقتصادي في الإسلام طابعاً تعبدياً وهدفاً سامياً.

للنشاط الاقتصادي في الإسلام طابْع تعبديٌ وهدفٌ سام: إن الإسلام رفع من شأن النشاط الاقتصادي، وجعله عبادةً يتقرب بها الإنسان إلى ربه، طالما اقترن بالنية الصالحة والتزم بالأحكام الشرعية؛ قال تعالى: ﴿ **قُلْ إِنَّ صَلَاتِي وَنُسُكِي وَمَحْيَايَ وَمَمَاتِي لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ** ﴾ [1]. وعَنِ المِقْدَامِ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، عَنْ رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، قَالَ: «مَا أَكَلَ أَحَدٌ طَعَامًا قَطُّ، خَيْرًا مِنْ أَنْ يَأْكُلَ مِنْ عَمَلِ يَدِهِ، وَإِنَّ نَبِيَّ اللَّهِ دَاوُدَ عَلَيْهِ السَّلاَمُ، كَانَ يَأْكُلُ مِنْ عَمَلِ يَدِهِ»[2].

والمعنى الذي أشار إليه الحديث النبوي حافز قوي للإقبال على العمل والإنتاج، وله أثره الإيجابي في زيادة عرض العمل في الاقتصاد الإسلامي، ومن ثم زيادة الإنتاج من السلع والخدمات، نتيجة إقبال أفراد المجتمع المسلم على العمل، دون التأثر وبشكلٍ كبير

(1) سورة الأنعام: 162.

(2) أخرجه البخاري في صحيحه، كِتَابُ الِاعْتِكَافِ، بَابُ كَسْبِ الرَّجُلِ وَعَمَلِهِ بِيَدِهِ،3 / 57، (2072).

بتقلبات الأجور المالية، ما دام المسلم يعمل ابتغاء ثواب الدنيا – العائد المادي – وثواب الآخرة.

والوسطية في الاقتصاد الإسلامي، أن العائد المادي أو الحافز الاقتصادي ليس هو الباعث الوحيد للنشاط الاقتصادي في الإسلام، كما في الاقتصاديات الوضعية، التي اعتبرت المعاش مقصد الإنسان الأساس، ففصلت بين الاقتصاد والدين.

ذاتية الرقابة على ممارسة النشاط الاقتصادي في الإسلام: النظم الوضعية تقوم على منهج الفصل بين الدين وجوانب الحياة كما هو معروف، ففي النظم الوضعية الرقابة موكلة إلى السلطة العامة، فهي عاجزة وقاصرة عن مراقبته في كل الأوقات، في ظل نظام الاقتصاد الإسلامي فإنه يوجد إلى جوار الرقابة الرسمية التي تمارسها الدولة رقابة أخرى، أشد وأكثر فاعلية، هي رقابة الضمير المسلم، القائمة على الإيمان بالله وعلى الحساب في اليوم الآخر. لذلك سلوك المسلم في نشاطه الاقتصادي كسلوكه في عبادته. قال تعالى: ﴿ إِنَّ ٱلَّذِينَ يَخۡشَوۡنَ رَبَّهُم بِٱلۡغَيۡبِ لَهُم مَّغۡفِرَةٞ وَأَجۡرٞ كَبِيرٞ ﴾ [1].وروى البخاري في صحيحه من حديث أبي سعيد الخدري قال: قيل يا رسول الله! أي الناس أفضل، فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم: "مُؤْمِنٌ يُجَاهِدُ فِي سَبِيلِ اللَّهِ بِنَفْسِهِ وَمَالِهِ"، قالوا: ثم من؟ قال: "مُؤْمِنٌ فِي شِعْبٍ مِنَ الشِّعَابِ يَتَّقِي اللَّهَ، وَيَدَعُ النَّاسَ مِنْ شَرِّهِ"[2].

التوازن بين مصلحة الفرد والجماعة : إن النظام الإسلاميّ الاقتصاديّ يقوم على التوازن, ومن هنا يختلف الاقتصاد الإسلامي عن الاقتصاديات الوضعية السائدة، فهو لا يقر التفاوت الشديد أو تسلط أقلية على مقدرات الجماعة كما هو شأن المذهب الفردي والنظم المتفرعة عنه كالرأسمالية، كما لا يقر إذابة أو إزالة الفوارق وإقامة المساواة

(1) الملك: 12.

(2) أخرجه البخاري في صحيحه، كِتَابُ الجِهَادِ وَالسِّيَرِ، بَابٌ: أَفْضَلُ النَّاسِ مُؤْمِنٌ مُجَاهِدٌ بِنَفْسِهِ وَمَالِهِ فِي سَبِيلِ اللَّهِ،15/4 (2786).

الفعلية أو المطلقة كما هو شأن المذهب الجماعي والنظم المتفرعة عنه كالاشتراكية والشيوعية، وإنما هو يحترم التباين والتفاوت تبعاً لاختلاف المواهب والقدرات، مع تقريب الفوارق أو الفجوة بين أفراد المجتمع، أو دول العالم، بالقدر الذي يحقق لها التعاون والتكامل لا السيطرة والاستغلال. وبهذا ينفرد النظام الاقتصاديّ عن أنظمةٍ كثيرةٍ تعاني انعدام التوازن![1]

أمّا إذا كان هنالك تعارض بين المصلحتين وتعذر تحقيق التوازن بينها فإن الإسلام يقدم مصلحة الجماعة على مصلحة الفرد، ويروى عَنِ ابْنِ عَبَّاسٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «لاَ تَلَقَّوُا الرُّكْبَانَ، وَلاَ يَبِعْ حَاضِرٌ لِبَادٍ» ، قَالَ: فَقُلْتُ لِابْنِ عَبَّاسٍ: مَا قَوْلُهُ «لاَ يَبِيعُ حَاضِرٌ لِبَادٍ» قَالَ: لاَ يَكُونُ لَهُ سِمْسَارًا » [2].

التوازن بين الجانب المادي والروحي: وقد دعا الإسلام إلى النشاط الإنتاجي المثمر في مجالات الاقتصاد المختلفة، لكسب الرزق في الدنيا ولطلب الأجر في الآخرة. ليوفق بين الجانب الروحي والمادي. أمّا ابتغاء الآخرة فهي خصيصة مهمّة, تخفف كثيراً من غلواء الأنظمة القائمة التي تتعامل وكأنّه ليس في الحياة إلّا المادة, وهكذا يتضح وضع الاقتصاد, إن الاهتمام به واجب, لكنه لا ينبغي أنْ يلهي عن الآخرة؛ لأنّه نفسه طريق إلى الآخرة, وإذا ابتغى الإنسان الآخرة في اقتصاده؛ فردًا كان أو دولةً, وسار على الطريق الذي رسمه الإسلام, فإنه بلا شكٍّ يؤدي إلى عبادة من أجَلِّ العبادات.[3] وقد أنكرت السنة النبوية على من يترك العمل من أجل التفرغ للعبادة، كما في قصة الرجل

(1) الإسلام والتوازن الاقتصادي بين الأفراد والدول، محمد شوقي الفنجرى، وزارة الأوقاف، بدون ط، بدون تاريخ، ص: 23.

(2) أخرجه البخاري في صحيحه، كتاب البيوع، باب هل يبيع حاضر لباد بغير أجر، وهل يعينه أو ينصحه،3 / 72(2158).

(3) أساليب الغزو الفكري للعالم الإسلامي، علي محمد جريشه – محمد شريف الزيبق، دار الوفاء، بدون بلد، ط: الثالثة، 1399هـ-1979م،1/ 227.

العابد، أَخْبَرَنَا عَبْدُ الرَّزَّاقِ، عَنْ مَعْمَرٍ، عَنْ أَيُّوبَ، عَنْ أَبِي قِلَابَةَ، قَالَ: ذُكِرَ عِنْدَ النَّبِيِّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ رَجُلٌ، فَقَالَ لَهُ: فِيهِ خَيْرٌ، قِيلَ: يَا رَسُولَ اللَّهِ، خَرَجَ مَعَنَا حَاجًّا، فَإِذَا نَزَلْنَا لَمْ يَزَلْ يُصَلِّي حَتَّى نَرْتَحِلَ، وَإِذَا ارْتَحَلْنَا لَمْ يَزَلْ يَقْرَأُ وَيَذْكُرُ حَتَّى نَنْزِلَ، قَالَ النَّبِيُّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «فَمَنْ كَانَ يَكْفِيهِ عَلْفَ نَاقَتِهِ، وَصُنْعَ طَعَامِهِ؟» ، قَالُوا: كُلُّنَا، قَالَ: «كُلُّكُمْ خَيْرٌ مِنْهُ»[1].

اقتصاد أخلاقي: الوسطية الاقتصادية في الإسلام والمتمثلة في اعتبار القيم الأخلاقية، إن النظم الاقتصادية الوضعية تنظر إلى الإنسان على أنه كائن مادي وتتعامل معه بعيداً عن ميوله الروحية والأخلاقية، داعيةً إلى الفصل بين الاقتصاد وبين الأخلاق.أمّا الأخلاق في ظل الاقتصاد العلماني الشيوعي والرأسمالي فلا مجال للحديث عنهما, كلاهما بلا أخلاق، وكلا المعسكرين يهبط بالإنسان إلى مرتبة الحيوان.[2] إذْ أنَّ الشيوعيَّة الماركسيَّة تنكر الأديان، وتعتبِرها أفيون الشعوب، وتركز على التطوُّر المادِّي للحياة، وتَمحو مشاعر الإخاء في النُّفوس البشريَّة، كما أنَّ الرَّأسمالية، وإن كانت لا تنكر الدِّين والأخلاق؛ إلا أنَّها قصرتْها على نطاق الكنيسة،وأن الاقتصاد الإسلامي لا يفصل بين الأخلاق والاقتصاد،وقد امتدح النبي صلى الله عليه وسلم التاجر الملتزم

(1) أخرجه معمر بن راشد في جامعه، باب خدمة الرجل صاحبه، 11 / 244(20442)، عبد الرزاق ابن همام بن نافع الحميري مولاهم أبو بكر الصنعاني ثقة حافظ مصنف شهير عمي في آخر عمره فتغير وكان يتشيع من التاسعة مات سنة إحدى عشرة وله خمس وثمانون ع. انظر تقريب التهذيب مرجع سابق، ص: 354. أيوب بن أبي تميمة كيسان السختياني بفتح المهملة بعدها معجمه ثم مثناه ثم تحتانية وبعد الألف نون أبو بكر البصري ثقة ثبت حجة من كبار الفقهاء العباد من الخامسة مات سنة إحدى وثلاثين ومائة وله خمس وستون ع. انظر تقريب التهذيب مرجع سابق،ص: 117. ومعمر بن راشد الأزدي مولاهم أبو عروة البصري نزيل اليمن ثقة ثبت فاضل إلا أن في روايته عن ثابت والأعمش [وعاصم بن أبي النجود] وهشام بن عروة شيئاً وكذا فيما حدث به بالبصرة من كبار السابعة مات سنة أربع وخمسين وهو ابن ثمان وخمسين سنة ع. انظر تقريب التهذيب مرجع سابق، ص: 541. الإسناد صحيح رجاله ثقات.

(2) مذاهب فكرية معاصرة، محمد بن قطب بن إبراهيم, دار الشروق، ط: الأولى 1403هـ-1983م, 476/1.

بالأخلاق الإسلامية كالصدق والأمانة وقَالَ:«التَّاجِرُ الصَّدُوقُ الأَمِينُ مَعَ النَّبِيِّينَ، وَالصِّدِّيقِينَ، وَالشُّهَدَاءِ»[1].

المبحث الثاني: الملكية في الاقتصاد الإسلامي

أباح الإسلام للمسلم حق التملك بحكم الاستخلاف في الأرض فهو مستخلف في الأرض لعمارتها، وتلبية للفطرة واستجابةً لغريزة حب التملك لدى الإنسان، كما دل على ذلك حديث النَّبِيَّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «لَوْ كَانَ لِابْنِ آدَمَ وَادِيَانِ مِنْ مَالٍ لَابْتَغَى ثَالِثًا، وَلاَ يَمْلَأُ جَوْفَ ابْنِ آدَمَ إِلَّا التُّرَابُ، وَيَتُوبُ اللَّهُ عَلَى مَنْ تَابَ».[2] الملكية في الإسلام تقوم على قاعدة عظمى قوامها، خصوصية الملكية وعمومية المنفعة، وفي ذلك خير للأُمّة وصلاحه لأنها تحفزه على مضاعفة الجهد وتدفعه إلى الإخلاص في العمل، وتحثه على بذل الطاقة لتنمية الموارد وزيادة الإنتاج وفي ذلك خير الأمة وتحقيق مصلحة الجماعة.

موقف الإسلام يسمح بملكيات ذات أشكال متنوعة وهنا يخالف النظام الرأسمالي الذي جعل الملكية الخاصة هي الأصل، وإلغاء الملكية العامة. ويخالف النظام الاشتراكي الذي جعل الملكية العامة هي الأصل، وإلغاء الملكية الخاصة.

وهنا تظهر وسطية الإسلام بين تطرف الرأسمالية في تضخيم شأن الملكية الفردية، وتطرف الشيوعية في إلغاء هذه الملكية، حيث أباح الإسلام الملكية الفردية مع وضع قيود معينة لها لحماية الآخرين، كما منع حق تملك ما في تملكه إلحاق الأضرار بالمجتمع؛

(1) أخرجه الترمذي في سننه، أبواب البيوع عن رسول الله صلى الله عليه وسلم, باب ما جاء في التجار وتسمية النبي صلى الله عليه وسلم إياهم,3/ 507(1209) قال الترمذي: «هَذَا حَدِيثٌ حَسَنٌ لَا نَعْرِفُهُ إِلَّا مِنْ هَذَا الوَجْهِ مِنْ حَدِيثِ الثَّوْرِيِّ عَنْ أَبِي حَمْزَةَ» وقال: الألباني ضعيف.

(2) أخرجه البخاري في صحيحه، كتاب الرقاق، باب ما يتقى من فتنة المال، 8/ 92(6436).

رعايةً لحقوق البشر، فجعلها ملكية جماعية، فجمع بين مصلحة الفرد والجماعة، في توازن واعتدال.

أنواع الملكية في الإسلام، تنقسم إلى ثلاثة أقسام هي: الملكية العامة، ملكية الدولة، الملكية الخاصة.

الملكية العامة : يشير مفهوم الملكية العامة إلى توظيف المال العام للصالح العام للمسلمين، في مقابل الملكية الخاصة التي يكون توظيف المال الخاص هنا للمالك على سبيل التخصيص، وعادةً ما تكون المرافق السياسية في المجتمع كالطرق والأنهار في إطار الملكية العامة. والدليل على إقرار الملكية العامة في الحديث النبوي يروى عن عَبْدُ اللَّهِ بْنُ سَعِيدٍ قوله: حَدَّثَنَا عَبْدُ اللَّهِ بْنُ خِرَاشِ بْنِ حَوْشَبٍ الشَّيْبَانِيُّ، عَنِ الْعَوَّامِ بْنِ حَوْشَبٍ، عَنْ مُجَاهِدٍ، عَنِ ابْنِ عَبَّاسٍ، قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: " الْمُسْلِمُونَ شُرَكَاءُ فِي ثَلَاثٍ: فِي الْمَاءِ، وَالْكَلَإِ، وَالنَّارِ، وَثَمَنُهُ حَرَامٌ ". [1] وهذا يعني أن الرسول عليه الصلاة والسلام أوجب أن تكون ملكية هذه الأشياء هي التي كانت ضروريةً لجميع الناس، وعلى عهد الرسول عليه السلام ولا يتوقف وجودها أو الانتفاع بها على مجهود خاص. واختلاف الحضارات فإنه لا يوجد ما يمنع من أن يقاس على

(1) أخرجه ابن ماجه في سننه، كتاب الرهون، باب المسلمون شركاء في ثلاث ، 2 / 826(2472). مجاهد بن جبر بفتح الجيم وسكون الموحدة أبو الحجاج المخزومي مولاهم المكي ثقة إمام في التفسير وفي العلم من الثالثة مات سنة إحدى أو اثنتين أو ثلاث أو أربع ومائة وله ثلاث وثمانون ع. انظر تقريب التهذيب مرجع سابق، ص: 520. والعوام بن حوشب بن يزيد الشيباني أبو عيسى الواسطي ثقة ثبت فاضل من السادسة مات سنة ثمان وأربعين ع. انظر تقريب التهذيب مرجع سابق، ص:433. و عبد الله بن خراش بالخاء المعجمة بن حوشب الشيباني أبو جعفر الكوفي ضعيف وأطلق عليه ابن عمار الكذب مات بعد الستين ق. انظر تقريب التهذيب مرجع سابق، ص:301. وعبد الله بن سعيد بن حصين الكندي أبو سعيد الأشج الكوفي ثقة من صغار العاشرة مات سنة سبع وخمسين ع. انظر تقريب التهذيب مرجع سابق، ص:305. الأسناد ضعيف فيه عبد الله بن خراش ضعيف. وقال المذي عنه في الحديث فوقع لنا بدلاً عالياً.

هذه الأشياء أشياء أخرى تتوافر فيها صفاتها. وهذا ما فعله المجتهدون من الأئمة عندما قاسوا على هذه الأشياء أموراً أخرى [1].

ملكية الدولة: هي الملكية التي تكون للدولة، ومواردها لبيت مال المسلمين يتصرف فيها ولي أمر المسلمين بموجب ما تقتضيه المصلحة العامة. بيت المال يسمى اليوم: وزارة المالية.

موارد ملكية الدولة (بيت المال): منها المعادن والزكاة والخراج والفيء وخمس الغنائم،يروى عَنْ عُبَادَةَ بْنِ الصَّامِتِ أنّه قَالَ: أَخَذَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يَوْمَ حُنَيْنٍ وَبَرَةً مِنْ جَنْبِ بَعِيرٍ، فَقَالَ: «يَا أَيُّهَا النَّاسُ، إِنَّهُ لَا يَحِلُّ لِي مِمَّا أَفَاءَ اللَّهُ عَلَيْكُمْ قَدْرُ هَذِهِ إِلَّا الْخُمُسُ، وَالْخُمُسُ مَرْدُودٌ عَلَيْكُمْ» [2].

الملكية الخاصة: وهي ما كانت لفرد أو لمجموعة من الأفراد على سبيل الاشتراك، وتخول لصاحبها الاستئثار بمنافعها والتصرف في محلها، كتملك الإنسان للمسكن والمركب.[3]

من أدلة إقرار الملكية الخاصة من السنة النبوية :قوله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ في حجة الوداع «...فَإِنَّ دِمَاءَكُمْ، وَأَمْوَالَكُمْ، وَأَعْرَاضَكُمْ، بَيْنَكُمْ حَرَامٌ، كَحُرْمَةِ يَوْمِكُمْ هَذَا، فِي شَهْرِكُمْ هَذَا، فِي بَلَدِكُمْ هَذَا» [4].

ومما يجلي وسطية الإسلام الأسباب المشروعة للملكية الخاصة : كالبيع، والإجارة، والسلم، ونحو ذلك. وحرمة ما فيه مفاسد: كالاتجار في المحرمات, الغرر, الربا, الميسر.

(1) بناء المجتمع الإسلامي، د نبيل السمالوطي، دار الشروق للنشر والتوزيع والطباعة، ط: الثالثة، 1418هـ-1998م ، ص: 271/1-273.

(2) أخرجه النسائي في سننه، كتاب قسم الفيء، 7 / 131(4138). قال الألباني: حسن صحيح.

(3) الملكية في الشريعة الإسلامية، عبد السلام العبادي، مؤسسة الرسالة للطباعة والنشر والتوزيع، دار الفرقان للنشر والتوزيع, 2000،ص 243.

(4) أخرجه البخاري في صحيحه، كتاب العلم، باب قول النبي صلى الله عليه وسلم: «رب مبلغ أوعى من سامع»، 1 / 24(67).

وهذه الميزة الخاصة جعلت الاقتصاد الإسلامي يختلف عن الرأسمالية والاشتراكية، لأن هذه النظم تسعى إلى الربح والكسب الماديين وتحقيق الرخاء بشتى الطرق والوسائل حتى وإن تعارضت مع القيم القانونية والأخلاقية.

البيع مشروع بالكتاب والسنة، وردت أحاديث كثيرة تدل على مشروعيته، وأنه من أطيب المكاسب ومن ذلك ما يروى عَنْ عَبْدِ الرَّحْمَنِ بْنِ أَبِي بَكْرٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا، قَالَ: كُنَّا مَعَ النَّبِيِّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، ثُمَّ جَاءَ رَجُلٌ مُشْرِكٌ مُشْعَانٌّ طَوِيلٌ بِغَنَمٍ يَسُوقُهَا، فَقَالَ النَّبِيُّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: " بَيْعًا أَمْ عَطِيَّةً؟ – أَوْ قَالَ: – أَمْ هِبَةً "، قَالَ: لاَ، بَلْ بَيْعٌ، فَاشْتَرَى مِنْهُ شَاةً [1].

الأسباب المحرمة في كسب الملكية الخاصة، ومنها الربا ومن أدلة تحريمه من السنة النبوية، عَنْ جَابِرٍ، قَالَ: «لَعَنَ رَسُولُ اللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ آكِلَ الرِّبَا، وَمُؤْكِلَهُ، وَكَاتِبَهُ، وَشَاهِدَيْهِ» ، وَقَالَ: «هُمْ سَوَاءٌ» [2].

قال تعالى: ﴿ ٱلْمَالُ وَٱلْبَنُونَ زِينَةُ ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا ۖ وَٱلْبَٰقِيَٰتُ ٱلصَّٰلِحَٰتُ خَيْرٌ عِندَ رَبِّكَ ثَوَابًا وَخَيْرٌ أَمَلًا ﴾ [3]. الْمالُ وَالْبَنُونَ زِينَةُ الْحَياةِ الدُّنْيا يتزين بها الإنسان في دنياه وتفنى عنه عما قريب. وَالْباقِياتُ الصَّالِحاتُ وأعمال الخيرات التي تبقى له ثمرتها أبد الآباد، ويندرج فيها ما فسرت به من الصلوات الخمس وأعمال الحج وصيام رمضان وسبحان الله والحمد لله ولا إله إلا الله والله أكبر والكلام الطيب. خَيْرٌ عِنْدَ رَبِّكَ من المال والبنين. ثَواباً عائدة. وَخَيْرٌ أَمَلًا لأن صاحبها ينال بها في الآخرة ما كان يؤمل بها في الدنيا. وهذا المعني يقود الأمم إلى الزهد الاقتصادي، فلا لهث وراء كسب الأموال من أي طريق، بل يعلم الإسلام أن القناعة الرضا باليسير، والمال وسيلة لا غاية [4].

(1) أخرجه البخاري صحيح، كِتَابُ البُيُوعِ، بَابُ الشِّرَاءِ وَالبَيْعِ مَعَ المشْرِكِينَ وَأَهْلِ الحَرْبِ، 80/3، (2216).
(2) أخرجه مسلم في صحيحه ، كتاب المساقاة، باب لعن آكل الربا ومؤكله، 3 / 1219(1598).
(3) الكهف: 46.
(4) أنوار التنزيل وأسرار التأويل، ناصر الدين أبو سعيد عبد الله بن عمر بن محمد الشيرازي البيضاوي ، المحقق:

=

الخاتمة

تنبع الوسطية التي جاء بها الإسلام، من العقيدة التي تقوم على توحيد الله وإفراده بالعبادة، والتمسك بما شرع من آداب السلوك والمعاملة. وفي الاجتماع تقوم الأسرة المتماسكة القائمة على ركائز المودة، والرحمة، والإخلاص، والاحترام والتعاون. وفي السياسة تقوم على الشورى، واحترام حقوق الحاكم والمحكومين، والتزود بكل أسباب القوة. وفي الاقتصاد الذي تقوم على تبادل المنافع، واتخاذ المال وسيلة لا غاية واحترام الملكية الفردية.

النتائج:

1. فأي وسطية أسمى من هذه الوسطية التي ارتضاها الله، وجعلها سمة هذه الأمة الإسلامية، ذات الحقيقة الكبيرة، والوظيفة الضخمة في هذه الأرض.
2. الوسطية أصل من أصول أهل السنة والجماعة ولنا في سلفنا الصالح الأسوة الحسنة فإنهم – رحمهم الله – من صحابة ومن تابعين وممن بعدهم كلما أتت الفتن أو تقلبت الأمور أوصوا فيها بما هو الحق، وهو البعد عن طرفي الغلو والجفاء، فهم أهل وسطية في الأمور، ليسوا مع أهل الغلو في غلوهم، وليسوا مع أهل الجفاء في جفائهم.
3. الشباب المسلم أحوج ما يكون إلى اتباع هذا المنهاج في فهم أحكام الشريعة، وفي الدعوة إلى الله من خلال الأمة الوسط والمنهاج النبوي.
4. الإصلاح لابد أن يستشعر به كل فرد في المجتمع، وبالضرورة التركيز على دور المرأة المسلمة وتحفيزها للقيام بدورها التربوي في تربية أبناء الأمة، وكذلك التنبيه لدور المعلم المتمثل في المؤسسات التعليمية المختلفة.

التوصيات:

محمد عبد الرحمن المرعشلي، 3 / 283، دار إحياء التراث العربي – بيروت، ط: الأولى – 1418 هـ.

ولعلّ ممّا يوصي به البحث ، لمواجهة الغزو الفكري الفاسد الذي يعمل على تفكيك الأواصر بين أبناء الأمة الإسلامية ليصبحوا أمماً وفرقاً متناحرة الآتي:

1. التمسك بالكتاب والسنة واعتبرهما منهجاً في كافة مناحي الحياة.

2. العمل على إزالة كل ألوان الفرقة بين المسلمين، والعمل على جمع كلمتهم وتوحيد صفوفهم.

3. استحضار فكرنا وأصوله مع الاقتباس من تجارب الآخرين غير المخالفة لديننا الإسلامي.

فإنْ بلغت المدى فمن الله، وإن أخطأت فمن نفسي والشيطان، وصلّى الله على نبيّنا وحبيبنا محمد.